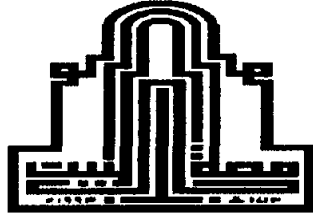


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة آل القادسية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

التناص في شعر علي بن الجهم

Intertextuality in Poetry of Ali bin al Jahm

إعداد الطالب :

عواض صباح حسن المساعدي

إشراف الأستاذ المساعد الدكتور

عبد القادر الربيعي

٢٠١٢ م

التناص في شعر علي بن الجهم

Intertextuality in Poetry of Ali bin al Jahm

إعداد الطالب :
عواد صياح حسن المساعيد

(٠٨٢٠٣٠١٠٠٥)

إشراف الأستاذ الدكتور
عبدالقادر الرباعي

التوقيع

.....
.....
.....
.....

أعضاء لجنة المناقشة

١- الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي (مشرقا ورئيسا)

٢- الدكتور أمين يوسف عودة (عضوا)

٣- الدكتور عبدالرحمن الهويدي (عضوا)

٤- الدكتور جمال محمد مقابلة (عضوا)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ : ٩ / ١٢ / ٢٠١٢م

الإهداء

إلى الجبل الشامخ والمحيط الهادر والدي

إلى العصف الدافئ والقلب العنون أُمي

إلى من كانوا معي كهارون لموسى إخوتي

إلى من أقض مضجعي وهز سباتي ولاحقني بين السطور ابن عمي عطا الله

إلى من سهرت الليالي وعانته وتحملت غربتي بين الكتب زوجتي

إلى أبنائي بهاء الدين وحسام الدين وأريام ورنيم الذين عرفوا

التناص قبل أن يعرفوا الحروف

أهديهم جميعاً هذا العمل المتواضع

الشكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" لقد عانيت كثيرا من أجل إنجاز هذا العمل، وإخراجه كعمل يليق بكون الدكتور عبد القادر الرباعي مشرفا عليه، فلهذا الأب الحاني والأستاذ الجليل كل الشكر والتقدير والإجلال، لما عاناه معي لإنجاز هذه الأطروحة ، فأشركك شكرا جزيلا على هذه الوقفة العظيمة التي وقفتها إلى جانبي ، وصبرك على بطاء إنجازي ، أشركك على توجيهاتك التي أنارت لي الطريق، وأشركك على صبرك على قراءة هذه الأطروحة وإبداء الرأي السديد لي من أجل إنجازها والافتخار بها لاحقا، فلك مني جزيل الشكر والتقدير وعظيم الامتنان .

وأقدم بالشكر الجزيل إلى بقية أعضاء لجنة المناقشة الدكتور أمين عودة ، والدكتور عبدالرحمن الهويدي ، والدكتور جمال مقابلة ، على قبولهم قراءة هذه الرسالة ،ومناقشتها وإبداء رأيهم فيها ،فلهم مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

وأقدم بالشكر وعظيم الامتنان لأصدقائي الذين عانوا معي في طباعة هذه الرسالة، معلمي مدرسة عمر بن الخطاب الأساسية للبنين.

وفي النهاية كان علي لزاما شكر طفلاتي أريام ،التي وقفت إلى جانبي وقوف الأمهات العظيمات ، فقد كانت هي الملهم الأول لإنجاز هذه الرسالة ،فهذه الطفلة عرفت التناص قبل أن تعرف الحروف، فلجميع مني الشكر الجزيل.

المحتوى	الصفحة
الإهداء	٦
الشكر	٧
فهرس المحتويات	٥
الملخص	٥
المقدمة	١
التمهيد : التناص نظرياً	٤
الفصل الأول : التناص الديني في شعر علي بن الجهم	٢٠
المبحث الأول : التناص مع القرآن الكريم	٢١
المبحث الثاني : التناص مع الحديث النبوي الشريف	٥٢
الفصل الثاني : التناص الأدبي في شعر علي بن الجهم	٦٣
المبحث الأول : التناص مع الشعر الجاهلي والأهوي والعباسي	٦٤
المبحث الثاني : التناص مع النثر ، الأمثال	٨٣
الفصل الثالث : التناص التاريخي في شعر علي بن الجهم	٩٣
المبحث الأول: التناص مع الأحداث التاريخية	٩٤
المبحث الثاني: التناص مع الشخصيات التاريخية	١٠٤
الفصل الرابع : دراسة تطبيقية	١١٥
قصيدة عيون المها	١١٧
قصيدة قالت حبست	١٢١
الخاتمة	١٦٠
ثبت المصادر والمراجع	١٦٢
ملخص باللغة الانجليزية	١٧٣

المجلد

تناولت الدراسة مصطلح التناس ، وحاولت تتبع هذا المصطلح في النقاد الغربي والعربي، ومن ثم درست شعر علي بن الجهم معتمداً على هذا المصطلح.

فقد حاولت الدراسة تتبع التناسات في شعر علي بن الجهم ، حيث تبين أن المصدر الديني القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي هو المصدر الرئيس لتناسات الشاعر ، وظهر التناس الأدبي واضحاً في ديوانه وفي هذا دلالة على ثقافة الشاعر ، وسعة اطلاعه على نتاج الآخرين.

قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول كانت على النحو الآتي :

التمهيد : التناس نظرياً ، والفصل الأول : التناس الديني في شعر علي بن الجهم وقد قسمت الفصل مبحثين ، الأول : التناس مع القرآن الكريم ، والثاني : التناس مع الحديث النبوي الشريف ، و الفصل الثاني : التناس الأدبي عند علي بن الجهم ، وقد قسمت الفصل مبحثين ، الأول : التناس مع الشعر الجاهلي والأموي والعباسي ، و الثاني : التناس مع النثر ، الأمثال ، و الفصل الثالث : التناس التاريخي في شعر علي بن الجهم وقد قسمت الفصل مبحثين ، الأول : التناس مع الأحداث التاريخية ، والثاني : التناس مع الشخصيات التاريخية ، والفصل الرابع : دراسة تطبيقية لنصين من نصوص الشاعر علي بن الجهم.

وتنتهي الدراسة بخاتمة تحوي خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

****المقدمة****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ، أما بعد،

تناولت في دراستي هذه مصطلحاً من المصطلحات النقدية التي دار الجدل حولها كثيراً ، وهو مصطلح التناص ، و التناص مصطلح نقدي جديد يقول :إن النص يبنى من نصوص متعددة سابقة عليه أو معاصرة له ، ويكون هذا البناء بوعي أو بدون وعي .

ظهر هذا المصطلح النقدي الجديد لأول مرة على يد باختين وعرف بالحوارية ، ليصل الأمر إلى الناقدة جوليا كريستيفا عام ١٩٦٦ م ، لتطوره ليظهر تحت هذا الاسم الجديد التناص ، ثم تناقله النقاد وشاع واتسع .

وصل هذا المصطلح النقدي إلى الثقافة العربية كغيره من المصطلحات الأجنبية ، وتضاربت الترجمات حوله ، ولكن الأشهر والمتداول بين النقاد هو التناص. وكما كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر ويتطور كان هذا هو حال مصطلح التناص عند العرب .

سأعرض في رسالتي هذه لمصطلح التناص في مقدمة نظرية ،ثم سأقدم لدراسته في قصائد شاعر عاش في العصر العباسي ، عصر التقدم والازدهار والتطور في شتى مجالات الحياة ، وخاصة المجال الأدبي، فلقد ارتقى الأدب عامة والشعر خاصة في هذا العصر إلى أعلى مراتبه، نتيجة اهتمام الخلفاء به، لقد رعى الخلفاء الأدباء والشعراء ،بل كان الأدب محل اهتمام الجميع في ذلك العصر وكان لكل فرد منه نصيب .

وكان من بين الأدباء الشاعر علي بن الجهم ، الذي نال حظا وافرا من المعرفة والثقافة ، ونحن هنا بصدد الحديث عن شعره الذي زخر به ديوانه وشاع صيته في الآفاق، فلقد سخر علي ابن الجهم معارفه وثقافته في إبداع شعره وتطوره وتميزه .

وجدت في ديوان علي بن الجهم شعرا يستحق أن يكون مادة زاخرة للدراسة ،ولهذا حاولت إبراز صور التناص في شعره ،فديوانه يعد مثالا واضحا لهذه الظاهرة النقدية الجديدة ،ولأن شعر علي بن الجهم لم يدرس من هذه الناحية ،لأن الدراسات الكثيرة انكبت على الدراسة الفنية لقصائده وجزالة ألفاظه ،ولم تتعرض لتناصه مع غيره من الشعراء وكيف تبلور ،كالدراسة التي قدمت في جامعة حلب والموسومة بالصورة الفنية في شعر علي بن الجهم لعبد السلام أحمد الراغب ، والدراسة التي قدمها حسن محمد نورالدين علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، والتي اهتمت بالشاعر واهم أغراضه الشعرية التي امتاز بها ، والدراسة التي قدمها عبد الرحمن باشا علي بن الجهم ، حياته و شعرة ، وهذه الدراسات اهتمت بحياة الشاعر وصوره الفنية ،وجزالة ألفاظه ، واهم الأغراض التي قال فيها، ولم تتطرق هذه الدراسات لتناص الشاعر مع غيره من النصوص .

فقررت دراسة شعر علي بن الجهم معتمدا على ظاهرة التناص التي احتلت في النقد الغربي والعربي الحديثين مكانة عظيمة .وسأتناول التناص في كثير من النصوص وفق هذه الظاهرة النقدية الجديدة، وسأبين أهم أشكال التناص فيها ،وذلك بتوضيح جمالها ومكانتها الأدبية ، وكيفية توظيف هذا التناص في النص والمتناص معه، لبيان جماليات العلاقة بين النص السابق والنص اللاحق.

ولقد قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول كانت على النحو الآتي :

التمهيد : التناص نظريا ، والفصل الأول : التناص الديني في شعر علي بن الجهم، وقد قسمت
 الفصل مبحثين ، الأول : التناص مع القرآن الكريم، والثاني : التناص مع الحديث النبوي
 الشريف ، و الفصل الثاني : التناص الأدبي في شعر علي بن الجهم، وقد قسمت الفصل
 مبحثين، الأول : التناص مع الشعر الجاهلي والأموي و العباسي ، و الثاني : التناص مع
 النثر ، الأمثال ، و الفصل الثالث : التناص التاريخي في شعر علي بن الجهم، وقد قسمت
 الفصل مبحثين ، الأول : التناص مع الأحداث التاريخية والثاني : التناص مع الشخصيات
 التاريخية ، والفصل الرابع :دراسة تطبيقية لنصين من نصوص الشاعر علي بن الجهم.
 وتنتهي الدراسة بخاتمة تحوي خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

التمهيد

التنصص نظرياً

التنـاـص :

" مصطلح التناص من المصطلحات المستحدثة ،التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي، وخاصة بعد استفاضة الحديث عن البنائية والأسلوبية ،وما قدماء من جديد سواء على مستوى الإبداع أو مستوى التفسير، وقد أصبح المصطلح أداة كشفية صالحة للتعامل مع النص القديم والجديد على حد سواء"(١) .

التناص لغة :

النَّصُّ: رفعك الشيء. نَصَّ الحديث يُنصُّه نصًّا: رفعه. وكل ما أظْهرَ، فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أرفع له وأستد. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصَّصته إليه. ونصَّت الظبية جيدها: رفعته. (٢)

في المعجم الوسيط : تناص القوم ازدحموا والنص صيغ الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف (٣)

التناص اصطلاحاً:

" إن مصطلح التناص في النقد العربي الحديث هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (intertext)، حيث تعني كلمة (inter) في الفرنسية: التبادل بينما تعني كلمة (text) النص و أصلها مشتق من الفعل اللاتيني (textere) ، و هو متعد و يعني (نسج) أو (حبك) ، و بذلك يصبح معنى (intertexte): التبادل النصي و قد ترجم إلى العربية: بالتناص الذي يعني تعالق النصوص بعضها ببعض" (٤) .

(١) محمد عبدالمطلب ، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني ، ط١ ، الشركة المصرية لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٥ ص ١٣٦

(٢) ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، مادة (نص)

(٣) المعجم الوسيط ، ص٩٢٦

(٤) أحمد ناهم ، التناص في شعر الرواد ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية- بغداد ، ٢٠٠٤ ص١٤ نقلا عن تداخل النصوص ، هانس جورج ، ترجمة الطاهر شيخاوي مجلة الحياة التونسية ، عدد٥٠ ، ١٩٨٨ ص ٥٣

و يورد سعيد علوش في كتابه (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) بعض التعريفات لمصطلح التناص ، بدءاً من جوليا كريستيفا و انتهاء بـرولان بارت:

١. يعتبر التناص عند (كريستيفا) أحد مميزات النص الأساسية ، التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها ، معاصرة لها.

٢. يرى فوكو Foucault بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تغييراً آخر ، و لا وجود لما يتولد من ذاته ، بل من تواجد أحداث متسلسلة و متتابعة ، و من توزيع الوظائف و الأدوار .

٣. أما (بارت) فيخلص إلى أن (لانهاية) التناص ، هي قانون هذا الأخير (١).

التناص عند النقاد الغربيين :

باختين M.Bakhtin (١٨٩٥-١٩٧٥)

باختين هو المدخل الطبيعي للتناص ، ومنه انتقلت أفكاره إلى جوليا كريستيفا ، ومنها تناولته الأقلام وتوسعت فيه (٢) .

وهو أول من أشار إلى هذا المحور النقدي ، (ولم يستعمل باختين مصطلح التناص ولكنه أسس له نظرياً في كتاباته وخاصة في كتاب (شعرية دوستويفسكي Dostoievski) وتكلم كثيراً عن مصطلح آخر هو (الحوارية) (٣) .

ويعرف باختين الحوار بقوله: " يدخل فعلاً لفظيان تعبيران اثنان في نوع خاص من العلاقة الدلالية ، ندعوها نحن علاقة حوارية والعلاقات الحوارية هي علاقات (دلالية) بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي " (٤)

" كانت أفكار باختين إذن حاسمة في ميلاد مفهوم التناص ، دون أن يكون باختين هو الذي وضع المصطلح ذاته ، ومع ذلك ظل هذا المصطلح يشرح دائماً بالاعتماد على كتبه ومصطلحاته المبتوثة فيها " (٥) .

(١) سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ، بيروت - دار الكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٥
رقم مصطلح ٦٤٧

(٢) منير سلطان ، التضمين و التناص ، منشأة المعارف - الإسكندرية ، ٢٠٠٤ ص ٤٨

(٣) المختار حسني ، " من التناص إلى الأطراس ، مجلة علامات ، الجزء ٢٥ ، مجلد ٧ ، سبتمبر ١٩٩٧ ، ص ٩٧

(٤) تودوروف ، المبدأ الحوارية (باختين) ، ترجمة فخري صالح ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،

١٩٩٢ ، ص ٨٢

(٥) حميد لحمداني ، " التناص وإنتاجية المعاني " ، مجلة علامات ، ج ٤٠ ، م ١٠ ، يونيو ٢٠٠١ ص ٦٨

جوليا كريستيفا:

وفي محاضرة لها بعنوان (الكلمة والحوار والرواية) في ندوة بارت العلمية ١٩٦٦، تقدم كريستيفا مفهوم (التناص) بديلا مقترحا لمصطلح باختين (الحوارية)، لنتهي نصف قرن عاشه النقاد داخل النص و سجن اللغة ،فمنذ البداية تتوجه كريستيفا إلى تبديل الكثير من المفاهيم عبر نظرتها إلى النص تسعى إلى فك قيده من البنيوية وإدماجه في التاريخ وفي المجتمع (١). فالنص خاضع منذ البداية لتوجه مزدوج نحو النسق الدال الذي ينتج ضمنه (اللسان ولغة المرحلة ومجتمع محدد) ونحو السيرة الاجتماعية التي يسهم فيها كخطاب (٢) .

" هذا ما تصل إلى استنتاجه كريستيفا لوصف التبادل الذي يتم داخل النص، فالتناص هو:

(التفاعل النصي داخل النص الواحد ،وهو الدليل على الكيفية التي يقوم بها النص بقراءة التاريخ والانتماج فيه) (٣) " فكل نص يتشكل (يبني) من فسيفساء من الاستشهادات هو امتصاص (تشرب) أو تحويل لنصوص أخرى" (٤) .

" فالنص من منظور جوليا كريستيفا ليس حلقة مغلقة معدومة الانفتاح على النصوص الأخرى ، بل حلقاته مرنة إلى درجة ضرورة التداخل والتقاطع لإنتاج ما هو جديد ، على خلاف فكرة الانتحال الذي كان ينظر على أنه منقصة عند الشاعر أو الأديب إذا وصل إلى مرحلة السرقة " (٥) .

وهكذا يكون المصطلح قد تأسس على يدي كريستيفا في حقل السيميائيات ، ليكون رمزا جديدا يحرك دينامية القراءة والكتابة ، وليكشف عن عمل تقوم به النصوص تسميه (إنتاجية) (٦) تقسيمات كريستيفا أنماط النصوص :

١- النفي الكلي وفيه يكون المقطع الدخيل منفيا كليا ، ومعنى النص المرجعي مقلوبا .

٢- النفي المتوازي حيث يظل المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه .

٣- النفي الجزئي حيث يكون جزءا واحد فقط من النص المرجعي منفيا (٧) .

(١) نهلة فيصل الأحمد ، التفاعل النصي (التناصية النظرية والمنهج) ، مؤسسة اليمامة ، الرياض ، كتاب الرياض ١٠٤ ، ١٤٢٣ ص ١٢٠

(٢) جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، المغرب ، ص ٩-١٠

(٣) نهلة فيصل الأحمد ، التفاعل النصي (التناصية النظرية والمنهج) ، ص ١٢١ ، نقلا عن تادييه النقد الأدبي في القرن العشرين ص ٣١٨

(٤) أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقا ، ط١ ، مكتبة الكتاني - اربد ، ١٩٩٥ ، ص ٩

(٥) حسين العمري ، إشكالية التناص مسرحية سعد الله ونوس أنموذجا ، ط١ دار الكندي_اربد، ٢٠٠٧ ، ص ١٥

(٦) جوليا كريستيفا ، علم النص ، ص ٢١

(٧) جوليا كريستيفا ، علم النص ، ص ٧٨-٧٩

وانظر محمد وهابي ، " مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا " ، علامات ، جزء ٥٤ ، مجلد ١٤ ، ديسمبر ٢٠٠٤ م ، ص ٣٨٣ وانظر مشتاق عباس معن ، " شعرية التناص قراءة في شعرية كريستيفا السلبية " ، علامات ، ج ٣٧ ، مج ١٠ ، سبتمبر ٢٠٠٠ م ، ص ٤٣٣-٤٣٤

" وقد سارت كرسيفا على خطى باختين ، من حيث إنه جعل التناص يقوم من حيث علاقته على التوافق الحوارى أو التضاد الحوارى ، وهو الذى تسميه كرسيفا بالنفى ، غير أن كرسيفا قد فصلت التضاد أو النفي فجعلته جزئيا وكليا" (١).

ويورد لنا محمد وهابى سمات وخصائص نظرية التناص عند كرسيفا ، بعد عرض لمفهوم التناص عند كرسيفا فى كتبها التى ألفتها ، ضمن بحثه مفهوم التناص عند جوليا كرسيفا فيقول :

- يرتبط التناص عند كرسيفا بما يسمى بـ (الإنتاجية النصية) وهذا يدعونا إلى التخلي عن فكرة تصويره بناء مغلقا والنظر إليه كمجال إنتاج وتوالد مستمر .

- حينما يقوم نص ما باستدعاء واستحضار نصوص أخرى فإنه ينقلها من سياقها الأصلي ويطرحها فى سياق جديد ، وهو ما عبرت عنه كرسيفا بـ " الهدم والبناء " أو " النفي والإثبات " المتزامنين ، وتحكم السياق فى العملية التناصية لا يبقى هناك مجال للحديث عن أي تناص اعتباطي.

- قد تحضر النصوص المرجعية فى النص الأصلي أو المركزى من خلال ملفوظات دالة عليها فقط .

- قد تكون مصادر النصوص المرجعية شفوية أو مكتوبة ومن أجناس معرفية مختلفة .

- إن مفهوم التناص مفهوم واسع وشامل، إذ إنه يستوعب مختلف أشكال التفاعل النصي وبهذا فهو غير قابل للانحسار وللانحياز فى شكل من الأشكال (٢).

التناص بعد كرسيفا :

ويؤكد بارت المصطلح الجديد فيظهر لأول مرة صريحا فى كتاباته فى (لذة النص) ١٩٧٣ ، يقول أن التناصية فى حقيقتها هى استحالة العيش خارج النص اللامتناهى (٣) .

كما يقول : " إن كل نص هو نسيج من الاقتباسات ، والمرجعيات ، والأصداء ، وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة ... وكل نص (الذى هو تناص مع نص آخر) ينتمى إلى التناص ... ويضيف بارت إن النص هو جيولوجيا كتابات " (٤) .

(١) عبدالباسط مرشدة ، التناص فى الشعر العربى الحديث ، ط١ ، دار ورد - عمان ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨

(٢) محمد وهابى ، " مفهوم التناص عند جوليا كرسيفا " ، ص ٣٩١-٣٩٢

(٣) رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان ، ط٢ ، دار توبقال ، المغرب ، ٢٠٠١ ، ص ٧٠

(٤) أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقا ، ص ١٠

" لا يقتصر التناس على مسألة المصدر أو التأثير، فالنص حقل عام من تراكيب مغفلة من النادر إدراك أصلها، ومن اقتباسات غير واعية أو آلية تقدم بين مزدوجين" (١).

" والتناس عند بارت ينقسم إلى قسمين : مخزون المؤلف الثقافي الذي ينتج النص، ومخزون القارئ الذي قد يختلف في مخزونه الثقافي عن المؤلف، فينتج النص بشكل آخر، وهكذا يصبح النص قراءات مختلفة وكثيرة، فينتجه كل قارئ وفقا لمخزونه فيصبح النص غير متناهي الأبعاد، إذ لكل قارئ سلطة يودعه ما يشاء من محاور تناسية" (٢).

" هكذا نجد أن رولان بارت لم يصف جديدا على ما قالته كرسيفا عن التناس، وما قاله باختين عن الحوارية، لكن بارت أكد وشرح بعض ما قالته كرسيفا، ووسع مفهوم انفتاح النص على الحياة والمجتمع، وأضاف بعض الملاحظات السريعة" (٣).

وقد اقترح جيني إعادة تعريف التناس في العبارات التالية " عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى " (٤) .

أما في مجال تفاعل النصوص نفسه، فقد وجد جيني أن في الإمكان التركيز على ستة أنماط:

١- التشويش: يعتمد الكاتب هنا إلى أخذ فقرة من نص مكرس، يتدخل هو فيه ويتلاعب به، مدخلا عليه إفسادا مقصودا أو دعاية.

٢- الإضممار أو القطع: هنا يمارس الكاتب الاقتباس المبتور، ليحرف النص عن وجهته الأصلية.

٣- التضخيم أو التوسع: يحول النص ويحرفه بأن ينمي فيه، في الاتجاه الذي يريد، عناصر دلالية أو مسارد شكلية يراها هو فيه.

٤- المبالغة: مبالغة المعنى والمغلاة فيه نوعيا.

٥- القلب أو العكس: وهي الصيغة الأكثر شيوعا في التناس، وخصوصا في المحاكاة

الساخرة، وهو أنواع: قلب موقف العبارة أو أطرافها، وقلب القيمة، وقلب الوضع الدرامي، وقلب القيم الرمزية .

٦- تغيير مستوى المعنى: نقل المعنى إلى صعيد آخر، وتحويل المجاز إلى الحرفية أو العكس (٥).

(١) تيفين سامويل ، التناس ذاكرة الأدب ، ترجمة نجيب غزاوي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص ١٤

(٢) عبدالباسط مرشدة ، التناس في الشعر العربي الحديث ، ص ١٨

(٣) عز الدين مناصرة ، علم التناس المقارن نحو منهج عنكبوتي ثقافي ، ط ١ ، مجدلاوي - عمان ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤٣

وانظر عمر أوفكان ، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت ، أفريقيا الشرق - ١٩٩١ م ، ص ٢١-٢٢

(٤) محمد عبدالمطلب ، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني ، ص ١٥٠

(٥) كاظم جهاد، أنونيس منتحلا ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٣ ، ص ٥٣-٥٧

"ويعرف ريفاتير التناص "هو إدراك القارئ للعلاقات الموجودة بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت تالية عليه " (١) .

جيرار جينيت Gerard Genette:

"لعب جيرار دورا محوريا في صياغة و تطوير هذه النظرية بعد كريستيفا وبارت ،حيث خصص مصطلح التناص للوجود المشترك بنصين أو لعدة نصوص ،أي خصصه ببساطة لحضور نص أو عدة نصوص في نص آخر حضورا فعليا" (٢).

يقول جيرار إنني تعرفت خمسة أنواع من العلاقات الخاصة بالمتعاليات النصية التي سارتيها وفق نظام تصاعدي يتبع التجرد والتضمن و الإجمال :

النوع الأول : وضعته منذ بضع سنوات جوليا كريستيفا تحت اسم التناص، وهذه التسمية طبعاً تعزز نموذجنا الاصطلاحي ، أما أنا فأعرفه بطريقة لا شك مكثفة بعلاقة حضور متزامن بين نصين أو عدة نصوص ؛بمعنى عن طريق الاستحضار وفي غالب الأحيان بالحضور الفعال لنص داخل آخر .

النوع الثاني : مكون من العلاقة الأقل وضوحاً بصفة عامة والأكثر بعداً عن المجموع المشكل من العمل الأدبي النص، بهذا المعنى المحصور يرتبط مع ما لا يمكن تسميته بغير : التوازي النصي .

النوع الثالث : النصية الواصفة هو بكل بساطة علاقة التفسير والتعليق التي تربط نصاً بآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استدعائه .

النوع الرابع : النصية المنقرعة واقصد بهذا كل علاقة تجمع نصاً ما (ب) (الذي سأسميه نصاً منقرعاً) بنص سابق (أ) (الذي سأسميه نصاً أصلاً) .

النوع الخامس : الأكثر غموضاً وخفاءً هو "النصية الجامعة المحددة أعلاه : يتعلق الأمر هنا بعلاقة بكاء تماماً بحيث لا تتقاطع -على الأكثر- إلا مع إشارة واحدة من إشارات النص الموازي التي لها طابع صناعي خالص مثل : العنوان البارز كما في : "أشعار" "دراسة" "رواية" ...أو مع عنوان صغير كالإشارة إلى أن الكتاب "رواية" أو "قصة" أو "قصائد" ... (٣).

(١) عز الدين منصرة ، علم التناص المقارن نحو منهج عنكبوتي تفاعلي ، ص ١٥١ نقلاً عن دوبيازي
(٢) نبيل علي حسنين ، التناص عند شعراء النفاضة ، إشراف الدكتور عبد القادر رباعي، رسالة دكتوراة ،
اليرموك ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص ٢٢
وانظر تيفين سامبول ، التناص ذاكرة الأدب ، ص ١٨
(٣) المختار حسني ، " من التناص إلى الأطراس " ، ص ١٧٩-١٨٥
وانظر تيفين سامبول ، التناص ذاكرة الأدب ، ص ١٨
وانظر حميد لحداني ، " التناص وإنتاجية المعاني " ، ص ٩٩-١٠٠
وانظر ليديا وعد الله ، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، ط ١ ، دار مجدلاوي - عمان ، ٢٠٠٥ ص ٤٣-٣٥

ويقول روبرت شولز: "النصوص المتداخلة اصطلاح أخذ به بارت وكريستيفا وريفاتير، وهو اصطلاح يحمل معاني وثيقة الخصوصية تختلف بين ناقد وآخر، والمبدأ العام فيه هو: أن النصوص تشير إلى نصوص أخرى، فإن النص المتداخل هو نص يتسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات سواء وعى الكاتب أو لم يع" (١).

"ولكن تداخل النصوص لا يعني بحال أن الكاتب أصبح مسلوب الإرادة، وأنه ليس سوى آلة لتفريغ النصوص، إن هذا هو أبعد صور الحقيقة صدقا على حالة الإبداع والسر يكمن في طاقة الكلمة وقدرتها على الانعتاق، فالكلمة تتغير وجهتها وهويتها حسب ما هي فيه من سياق، والسياق هو مجهود إيداعي يصدر عن المبدع نفسه" (٢).

ويعرف ليتش Leitch التناص فيقول: "إن النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى" (٣).

"ويبقى مفهوم التناص عند كثير من النقاد الغربيين متقاربا يمتح من معين واحد، وهو وجود نص في آخر على اختلاف بينهما إلا في بعض التفاصيل أما مفهوم التناص وتعريفه فيبقى متقاربا" (٤).

التناص عند النقاد العرب:

الذي يجب الإشارة إليه هو اختلاف الباحثين العرب في إيجاد صيغة لفظية أو ترجمة موحدة لمصطلح التناص، وربما يلتبس لهم العذر في ذلك أن هذا الأمر داخل ضمن الأزمة التي يعيشها المصطلح النقدي المولد في النقد العربي الحديث، أضف إلى ذلك أن مصطلح التناص نفسه يحمل في ثناياه تعدديه مربكة ومتشعبة في المعنى والمفهوم، حيث تتغير دلالاته ومفهومه من باحث إلى آخر توسيعا وفهما" (٥).

"و لقد عانى مصطلح التناص في النقد العربي الحديث من تعددية في الصياغة، و التشكيل، فقد ظهر هذا المصطلح في حقل النقد العربي الحديث بعدة صياغات و ترجمات عدة منها:

(١) عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ط ١، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥، ص ٣٢٠-٣٢١ وانظر تركي المغييض "التناص في معارضات البارودي"، أبحاث اليرموك، مجلد ٩، عدد ٢، ١٩٩١، ص ٨٧-٨٨

(٢) عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص ٣٢٣-٣٢٤

(٣) المرجع ذاته، ص ٣٢١ نقلا عن ليتش Leitch, Deconstructive Criticism 59

(٤) عبدالباسط مرشدة، التناص في الشعر العربي الحديث، ص ١٩

(٥) تركي المغييض "التناص في معارضات البارودي"، ص ٨٩

١. التناص أو التناصية ٢. النصوصية ٣. تداخل النصوص أو النصوص المتداخلة
 ٤. النص الغائب ٥. النصوص المهاجرة (و المهاجر إليها) ٦. تضافر النصوص
 ٧. النصوص الحالة و المزاحة ٨. تفاعل النصوص" (١)
- من أوائل الباحثين العرب الذين تناولوا مصطلح التناص بالقراءة والتمحيص الناقد محمد مفتاح حيث حدد مفهوم التناص (٢) بقوله : " التناص هو تعلق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " (٣) .

ويذكر محمد مفتاح نوعين أساسيين من التناص هما :

- ١- المحاكاة الساخرة (النقيضة) التي يحاول كثير من الباحثين أن يختزل التناص إليها .
- ٢- المحاكاة المقتدية (المعارضة) التي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها الركيزة الأساسية للتناص (٤) .

"فالتناص إذن إما أن يكون اعتباطا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي، وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه (٥)، ويقول مفتاح إننا لا نتصور نصا خاليا من الحوار الخارجي سواء أكان مع نص مركزي أم مع نص فرعي أم باستثمار معجم خاص ، ولكن هذه الأنواع ليست إلا مواد خاما يمكن أن تشكل بالحوار الداخلي في هيئة جميلة على يد صناع، ويمكن أن يركم بعضها فوق بعض بقلم فاقده الموهبة" (٦) .

ومن القراءات اللافتة للنظر ما قدمه صبري حافظ في تناوله لمفهوم التناص فالتناص لديه "لا يقتصر موضوعه على تلك الأبعاد التي تتيح للقارئ التمرس بقراءة نوع معين من النصوص (وهي النصوص النقدية في هذه الحالة) والتعرف على رؤى وأفكار نص لم يسبق له الاطلاع عليه ، ولكنه يتجاوزها ليطرح العديد من القضايا حول علاقة النصوص بعضها ببعض الآخر من جهة ، وعلاقتها بالعالم وبالمؤلف الذي يكتبها من جهة أخرى ، كما يطرح موضوع العناصر الداخلة في عملية تلقينا لأي نص وفهمنا له" (٧)، أي يتشكل وفق جملة

(١) المرجع ذاته ، ص ٩٠

(٢) محمود محمد عبيدات ، التناص في شعر أبي نواس ، إشراف الدكتور ماجد جعفر ، رسالة دكتوراة ، اليرموك ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٦

(٣) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٢١

(٤) المرجع ذاته ، ص ١٢٢

(٥) المرجع ذاته ، ص ١٣١

(٦) محمد مفتاح ، دينامية النص ، ط ٢ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٢

(٧) صبري حافظ ، أفق الخطاب النقدي ، ط ١ ، دار شرقيات ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٥٠

من العلاقات تتجاوز علاقة النصوص ببعضها ببعض من جهة ، وعلاقتها بالمؤلف الذي يكتبها من جهة أخرى (١) .

ويعرفه عبد الملك مرتاض بقوله : " التناصية هي شبكة العلاقات النصية التي تتسم بوسائل قراءة نصوص وسماعها أو ربما كتابتها ، إذ كثيرا ما تكون تناصية داخلية بحيث ينقل مدبلج النص صورا سابقة في نفسه قصدا أو عن غير قصد " (٢) .

ومفهوم التناص عند محمد عبد المطلب الذي قدمه في كتابه قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني هو : " عملية استعادة لمجموعة من النصوص القديمة في شكل خفي أحيانا وجلي أحيانا أخرى " (٣) .

أما مفهوم التناص عند صلاح فضل فيقوم على طرح عام يقول : (يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى ، أي عملية تناص ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى (٤) .

وقد أطلق محمد بنيس على مفهوم التناص (النص الغائب) فيقول : إن النص إعادة كتابة وقراءة لهذه النصوص الأخرى اللامحدودة ، التي يمكن أن تحول النص إلى صدى أو تغيير أو اجترار) ، فهو يشير إلى القواعد الأساسية للتناص : (الاجترار والامتصاص ، و الحوار) (٥) . ويقرر بنيس بأنه سوف يستعمل لدى قراءة الشعراء المغاربة للنص الغائب في نصوصهم الشعرية معايير ثلاثة تتخذ صبغة قوانين وهي : الاجترار ، والامتصاص ، والحوار . وهو يشرح القوانين الثلاثة على النحو التالي :

١. الاجترار : تعامل الشعراء في عصور الانحطاط مع النص الغائب بوعي سكوني ، وأصبح النص الغائب نموذجا جامدا ، تضحل حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني (٦) .
" فالاجترار هو : تكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير ، وهذا القانون يسهم في جمود النص الغائب لأنه لم يطرره ولم يحاوره ولكن أعيدت صياغته مع بعض التغيير الذي لم يمس

- (١) صبري حافظ ، أفق الخطاب النقدي ، ص ٥٠
- (٢) إبراهيم عقله جوخان ، التناص في شعر المتنبي ، إشراف الدكتور عبد القادر رباعي ، رسالة دكتوراة ، اليرموك ، ، ٢٠٠٦ ، ص ٢١ نقلا عن الموقف الأدبي ، ٢٠١٤ كانون الثاني ، ١٩٩٨ ، ص ٥٣
- (٣) محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٤١-١٤٣
- (٤) صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، ط ١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٥٤
- (٥) محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥١
- (٦) المرجع ذاته ، ص ٢٥٣

جوهره وذلك بسبب نظرة التقديس و الاحترام لبعض النصوص ، أو لضعف القدرة الفنية عند المبدع الجديد " (١).

٢. الامتصاص: مرحلة أعلى من قراءة النص الغائب، وهو القانون الذي ينطلق أساساً من الإقرار بأهمية هذا النص، وقد استه، فيتعامل وإياه كحركة وتحول، لا ينفيان الأصل، بل يساهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد. ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده، فهو يعيد صوغه فقط وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها (٢).

٣. الحوار: أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب، إذ يعتمد النقد المؤسس على أرضية عملية صلبة، تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان نوعه وشكله وحجمه. لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر لا يتأمل النص، بل يغيره وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية (٣) " فالحوار تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع، من أجل كسر الجمود والوصول إلى حالة من الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً في التناس" (٤).

ويقول أحمد الزعبي: " فالنص الغائب هو ما لم يقله النص مباشرة ولكنه يوحي به ، هو ما لم يذكره النص ، ولكنه يتضمنه وهو كذلك ما لم يصرح به ولكنه يثيره ، والبحث في النص الغائب يركز على البحث فيما وراء النص الحاضر بشكل أساسي ، وهو استحضار الرموز والدلالات والإشارات التي تستبطن من النص الحاضر ، لإعادة بنائه وترتيبه وتركيبه وبالتالي فهمه على أفضل شكل ممكن . والنص الغائب كذلك هو تلك المراجع والإشارات التي تستحضر عند الدراسة والتحليل ، كإشارات التاريخ ، والتراثية ، والاجتماعية ، والفكرية ، إلى آخر هذه المراجع التي ترتبط بالنص الحاضر بشكل خفي أو إيحائي " (٥).

(١) أحمد ناهم ، التناس في شعر الرواد ، ص ٥٦

(٢) محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص ٢٥٣

(٣) المرجع ذاته ، ص ٢٥٣

(٤) أحمد ناهم ، التناس في شعر الرواد ، ص ٥٦

وانظر خالد الجبر ، تحولات التناس في شعر محمود درويش ، جامعة البتراء الخاصة ، ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٥ وانظر المختار حسني ، " التناس في الانجاز النقدي " ، علامات ، جزء ٤٩ ، مجلد ١٣٣ ، ، ٢٠٠٣ ص ٥٣١

(٥) أحمد الزعبي ، النص الغائب نظرياً وتطبيقاً ، أربد، مكتبة الكتاني ، ١٩٩٣ ، ص ٥

ويقول باقر جاسم محمد في التناص : " إنه دراسة الخطاب الأدبي بوصفه جزءا من سياق إبداعى اشمل ،ويبحث التناص عن مظاهر وشروط انضواء النص موضوع الدراسة في سياقه العام ،وأشكال استفادته من النصوص السابقة عليه، وكيف استحالت في داخله عناصر وخصائص من تلك النصوص ،وما أنتجه النص الجديد من معنى أدبي نتيجة ذلك كله، وما كسبته التجربة الجمالية الماثلة في النص من العناصر والخصائص المتمثلة فيه، والتي هي ليست من ابتكار الشاعر أو الكاتب" (١) .

وتقول زهور لحزام : فالكاتب وإن كان إبداعه يتم انطلاقا من شيء معطى فإنه يبدع شيئا لم يكن موجودا من قبل، لأن التناص ليس مجرد تجميع مبهم للتأثيرات، ولكنه عمل تحويل واستيعاب لعدد من النصوص الخاضعة لنص مركزي يحافظ على سيادة المعنى (٢) .

وتقول ربى عبدالقادر: " التناص هو مصطلح حديث جاءنا من الغرب، إنه عبارة عن نص أدبي متضمن لنصوص وأفكار أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس، والتضمين، والتلميح أو الإشارة، عرف هذا المصطلح وتم تداوله بين النقاد والمدارس بصورة فيها الكثير من الخلط والتشويش والتداخل بين مفهوم التناص وعدة مفاهيم مثل الأدب المقارن والمثاقفة" (٣) .

التناص عند العرب القدماء :

التناص في النقد القديم

" أن كلمة تناص بهذا المستوى اللفظي لم ترد عند النقاد العرب إلا إن فضاءاتها وجدت بطريقة أو بأخرى، فعندما نتحدث عن السرقات، أو الانتحال، أو المحاكاة، والاقتباس، والتضمين والمعارضات، هي أيضا تداخل لكن من نوع خاص، وليس بالمفهوم الذي طرحه أصحاب مصطلح التناص" (٤) .

ويقول الجعافرة عن ذلك: لا نعتقد أن مفهوم التناص جديد كل الجدة ولم يكن له جذور في تراثنا النقدي أو لم يكن له نصيب في نصوصنا التراثية، أو إن القدماء لم يتنبهوا إليه ويلتفتوا إلى هذه الظاهرة التي أصبحت ذات خطر في الدراسات النقدية الحديثة" (٥) .

(١) باقر جاسم محمد "التناص المفهوم والآفاق" مجلة الآداب ، عدد ٧-٩ ، سنة ٣٨ ، ١٩٩٠ ، ص ٦٧
 (٢) زهور لحزام ، " آلية التناص " ، مجلة الناقد ، العدد ٣٠ ، كانون الأول ١٩٩٠ م ، ص ٥٩
 (٣) ربى عبدالقادر الرباعي ، التضمين في التراث النقدي والبلاغي ، إشراف الدكتور قاسم المومني ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٠

(٤) حسين العمري، إشكالية التناص مسرحية سعد الله ونوس أنموذجا ، ص ١٨
 (٥) ماجد جعافرة ، التناص والتلقي دراسات في الشعر العباسي ، ط ١ ، دار الكندي - اربد ، ٢٠٠٣ ص ١٧

" تنبه العرب إلى موضوع التناص حينما عرضوا قضية السرقات ،وخصوا بالذكر سرقة المعاني وسجلوا إنه باب لم يسلم منه أحد ،وهذا إقرار منهم بأن النص يتناص مع نصوص كثيرة مهما حاول صاحبه اخذ الحيلة والحذر ،ولكنهم عزوا هذا التناص إلى هذا المصطلح السلبي السرقات ،ويبدو أن النقاد العرب القدامى أحسوا قصور فهم السرقة وأنه لا يعبر بحال من الأحوال عن النماذج التي توقفوا عندها ،وهم يرصدون تأثير الشعراء بعضهم ببعض ولهذا راحوا يصنفون السرقات ويضعون لها مصطلحات كثيرة متدرجة وهذا اعتراف صريح بقصور مصطلح السرقات" (١).

ويقول أحمد الزعبي: "إن موضوع التناص ليس جديدا تماما في الدراسات النقدية المعاصرة كما يرى معظم الباحثين في هذا المجال ،وإنما هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية شرقا وغربا بتسميات ومصطلحات أخرى، فالاعتباس ،والتضمين، والاستشهاد ،والقرينة ،والتشبيه والمجاز ، والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم هي مسائل أو مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة ،" (٢).

ويقول معجب العدوانى : "قد تنوعت الحقول النقدية التي رآها نقادنا تتصل بالتناسية فكانت مفاهيم السرقات ،والمعارضات الشعرية ،والاعتباس والتضمين ،والحفظ الجيد من المفاهيم المتداولة في الدرس الأدبي" (٣) .

ويقول حسين العمري : "ويكاد يكون مصطلح السرقات اقرب ما يكون إلى مصطلح التناص، إلا أن طبيعة لفظة السرقات ووقعها على السمع تكاد تكون منفرة وغير مقبولة ،وخاصة أن هذه اللفظة ارتبطت بالأخلاق والسلوكيات غير المرغوبة ،ولذا نزه الأدباء أنفسهم عن هذه الألفاظ خوفا من وقوعهم وتعرضهم لإشكالات سلوكية هم في غنى عنها ؛ولذا حاول النقاد الابتعاد عن هذه الكلمة وتعويضها بمصطلحات أخف حدة وأقرب إلى الذوق الأدبي كالاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها" (٤).

ويقول باقر جاسم : "لاشك إن اهتمام العرب بالشعر قولاً وحفظاً ثم تدويناً بعد ذلك قد جعلهم ينتبهون إلى ظاهرة التناص ،فهم قد لاحظوا إن معاني بعض الشعراء تتكرر عند شعراء آخرين وإن بصور مختلفة وذلك هو الوجه الوحيد الذي لاحظوه من وجوه التناص فدرسوه تحت باب السرقات" (٥) .

(١) ماجد جعفر ، التناص والتلقي دراسات في الشعر العباسي ، ص ١٧

(٢) أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقيا ، ص ١٥

(٣) معجب العدوانى ، "رحلة التناسية" ، مجلة علامات، ج ٤٤ ، م ١١ ، يونيو ٢٠٠٢ ، ص ٢٤٩

(٤) حسين العمري ، إشكالية التناص مسرحية سعد الله ونوس أنموذجا ، ص ٢٠

(٥) باقر جاسم محمد "التناص المفهوم والآفاق" ، ص ٦٧

ويقول موسى ربابعة : " ويمكن أن ينظر إلى التضمين على أنه مظهر من مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها ،ولهذا ليس هناك من ضير إذا ما نظر إلى هذا المفهوم في ضوء مفهوم معاصر هو مفهوم التناص " (١).

ويقول عبدالباسط مراشدة : "إن السرقات محور يبحث في الأدب العربي في شعره بالتحديد ،بينما جعلت ثقافة الناقد والشاعر محور التناص جغرافية أوسع إذ دخل التراث الإنساني عامة دون حدود ودون تاريخ في النص الحاضر لذلك، فإن التناص أرحب ثقافة من السرقات ضمن هذا المحور " (٢).

ونقول ربى عبدالقادر : " إن الاقتباس والتضمين والاستشهاد وما شابه ذلك في النقد القديم هي مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثه ،ولكن الاختلاف يكمن في تشعب مصطلح التناص ،ولكن المصطلح الأوحده من هذه المصطلحات القديمة الذي يبدو ألصقها بالتناص هو التضمين . فالتضمين كالتناص عبارة عن تداخل النصوص " (٣).

" إذن الاتفاق الكامن بين التضمين و التناص هو أنهما قسمان أولهما المباشر الذي يقتبس النص بلغته التي ورد فيها كآليات والأحاديث والأشعار والقصص. وثانيهما : غير المباشر الذي يستنبط استنباطاً أو يستوحى استيحاء " (٤) .

ونقول ربى : " إن فكرة التأثير والتأثير التي يقوم عليها التناص عرفها العرب منذ القدم، عن طريق اهتمامهم بالسرقات . فهذه المسألة مرتبطة بالموروث الثقافي وباللاوعي وبآوارد الخواطر ، ولما كنا قد قلنا إن فكرة السرقات منفية وأن التضمين يشكل مصطلحاً بديلاً قادراً على احتواء أنواعها وأشكالها فإن بالإمكان استبدال التضمين بالتناص أيضاً " (٥).

ويقول معجب العدوانى : " تظل التناصية مصطلحاً حديثاً كان له التأثير على المصطلحات السابقة ذاتها إذ كان له القدرة على خلق اتجاه قرائي جديد للسرقات الأدبية التي تناولها القدماء ،وينطبق الأمر نفسه على المعارضات الشعرية وغيرها من الأفكار النقدية في حقولها القديمة ،ما يشير إلى كون التناصية مرحلة جديدة ينطلق فيها القارئ مع النص، وهذه

(١) موسى ربابعة ، " ظاهرة التضمين البلاغي دراسة في تضمين الشعراء العرب القدماء لمعلقة امرئ القيس " ، أبحاث اليرموك ، مجلد ١٤ ، العدد ٢ ، ١٩٩٦ م ، ص ٤٢

(٢) عبدالباسط مراشدة ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ص ٤٢

(٣) ربى عبدالقادر الرباعي ، التضمين في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٢٠٠-٢٠١

(٤) المرجع ذاته ، ص ٢٠٠-٢٠١

(٥) المرجع ذاته ، ص ٢٠٢

المرحلة تمكنه من جعل النص مفتوحاً أمام اللاحق والسابق والمعاصر في علاقات تتجاوز الموافقة أو المعارضة أو السرقة" (١) .

نستطيع القول أن العرب لم تعرف مصطلح التناسل في قراءتها النقدية، ولم تكن هذه الكلمة موجودة في المعاجم العربية القديمة، ولكن العرب استخدمت مصطلحات نقدية قريبة من هذا المصطلح في المعنى، فقد استخدمت مصطلح الاقتباس والتضمين وغيرها للدلالة على استفادة اللاحق من السابق في الألفاظ والمعاني وتأثير السابق باللاحق، وقد كان مصطلح التضمين من أقرب المصطلحات في المعنى للتناسل الحديث، ولكن استخدامات التضمين لا تصل لاستخدامات التناسل فالتناسل أعم وأوسع من التضمين .

واستخدم العرب مصطلحات أخرى في قراءاتهم النقدية وهي السرقات، وقد شغلت السرقات النقاد العرب القدماء كثيراً، وأصبح معظمهم يكرس جهده لاستخراج هذه السرقات بين الشعراء ومحاولة تصنيفها من سرقة مباشرة وغير مباشرة، وسرقة حسنة وأخرى سيئة، وهكذا نلاحظ من خلال ذلك أن هذه السرقات أيضاً قريبة جداً من التناسل، حيث تغيرت النظرة السلبية لهذه السرقات إلى نظرة إيجابية تدل على سعة ثقافة المؤلف ومقدرته على إنتاج العمل، ليتغير الاسم من السرقات إلى التناسل، ونؤكد من جديد على أن التناسل أوسع في دراسته من دراسة السرقات .

التناسل هذا المصطلح الجديد القديم، هذا المصطلح الغامض، هذا المصطلح الواسع، هذا المصطلح المشتت، لقد أطلق عليه قديماً الاقتباس والتضمين والسرقات، وقد كانت نظرة نقاد العرب إلى هذه المصطلحات نظرة متباينة وخاصة السرقات، فقد نالت من نقادنا العرب الاهتمام الكبير، وكان جل الاهتمام ينصب عليها، وقد كانت تعتبر مثلباً ونقصاً في قدرة الشاعر على إنتاج أعماله، ولكن هناك الكثير من نقادنا القدماء تحدثوا عن التناسل ولو لم يتطرقوا لذلك المصطلح وخاصة عندما تحدثوا عن نسيان المحفوظ، فقيل إن المبدع لا يكون مبدعاً إلا إذا اطلع على تجارب الآخرين واستفاد منها، فعند ذلك يظهر هذا التأثير في إنتاجه دون وعي وقد كان يعجب المؤلف بأعمال غيره فيدعم عمله بجزء منها كالاقتباس والتضمين، ولكن ذلك كان مرفوضاً عند عدد كبير من نقاد العرب، رغم إن النقاد استحسنوا الكثير من هذه التأثيرات والاقتباسات والتضمينات، ونحن نلاحظ إن النظرة السلبية لهذا المصطلحات قديماً قد تغيرت إلى نظرة إيجابية بعد ظهور مصطلح التناسل على يد كرسنفا متأثرة بحوارية باختين، حيث قرر الكثير إن النص هو عبارة نسيج من نصوص سابقة عليه وأنه امتصاص لثقافة مؤلفه بذوبها في

(١) معجب العدوانى، "رحلة التناسلية"، مجلة علامات، ج ٤٤، م ١١، يونيو ٢٠٠٢، ص ٧٦٢

نصه فيظهر هذا التناص في إشكال مختلفة ،كالتناص المباشر و غير المباشر ،أو الواعي وغير الواعي.

فالتناص هو أمر لا مناص منه، لأن الشخص المبدع لا يستطيع أن ينسلخ من ثقافته وعاداته ومعتقداته الدينية، لأنها مكونات أساسية له، فيظهر هذا في أعماله التي ينتجها، وقد عني هذا التناص بمحاولة تتبع الأعمال الخارجية التي تؤثر على هذا العمل، أو نسجت منه ،وقد أصبحت كثرة التناصات في العمل الأدبي سمة مميزة تدل على ثقافة المؤلف، وإطلاعه، و قدرته على إنتاج نصه.

فالتناص إذن هو تشكل النص ونسجه من نصوص أخرى ،وقد يكون هذا النسج مباشرا وقد يكون غير مباشر فالنصوص كتب عليها التناص والتأثر بالغير، ولكن كل نص يختلف تناصه عن الآخر، فمن المؤلفين تكون تناصاتهم كالأزهار التي تزدان بها الطبيعة فتضفي على نصوصهم الجمال والروعة ، ومنهم من تكون تناصاتهم عقيمة تدل على ضعف مقدرتهم الإنتاجية .

الفصل الأول

التناسخ الديني

في شعر علي بن الجهم

المبحث الأول: التناسع مع القرآن الكريم

القرآن الكريم هذا الكتاب المقدس ، هذا الكتاب المعجز الذي ينظر له جميع المسلمين نظرة تعظيم وتقديس ، والكل يحاول أن ينهل منه حتى يدعم مخزونه اللغوي والبلاغي؛ لأنه كتاب كان وجه الإعجاز به اللغة والبلاغة؛ لأنه جاء لقوم يتمتعون بذلك ، والشاعر كغيره من الشعراء استمد الكثير من معانيه وألفاظه من وحي القرآن الكريم واعيا أو غير واع لهذا التأثير.

الشاعر بحكم المرحلة التي عاشها وما كان فيها من إشكالية خلق القرآن الكريم، دفع إلى أن يتمسك أكثر بالقرآن ، وأن يحاول الدفاع عنه من خلال آياته وإعجازه ، فكان لا ينفك يقتبس أو يضمن أو يشير إلى شيء من آياته التي تدعم آرائه ومبادئه ، " وقد برز ابن الجهم للدفاع عن أهل السنة والذبح عنهم بحماسة عالية وعاطفة عميقة ، وعد من القلة القليلة التي آنت في نفسها الشجاعة للوقوف ضد التيار السائد في ذلك العصر ، إذ كان التسنن ضعيفا مهينا قبل المتوكل " . (١)

"الشاعر علي بن الجهم لم يتتقف بالثقافة اليونانية التي غزت عصره ، ولم تظهر آثارها في

(١) مجاهد بهجت ، "الملاحم الإسلامية في شعر علي بن الجهم" ، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد ، عدد ٩ ،

شعره ، وإنما ظهر فيه القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولا غرو فابن الجهم واحد من أهل السنة ورجل من رجال الحديث وخصم من خصوم المعتزلة " (١) .

وبحكم مذهبه السني كان علي بن الجهم يتناص مع القرآن تناصات كثيرة ، ليرد على المعتزلة ومن قال بخلق القرآن الكريم ، وقد كانت معظم تناصات علي بن الجهم تناصات مباشرة مع القرآن الكريم يستفيد منها ويوظفها بما يناسب أبياته ، ليخدم من خلالها فكرته ، ويدعم بها آراءه ، ويعمق فيها معانيه .

"اطلع الشاعر على القرآن الكريم اطلاعا جعله يسري في شعره سريان الروح في الجسد ، ويتمشى في قصائده تمشي الدم في العروق ، فاقتبس من آياته المحكمات وأكثر من ذلك كثرة تلفت النظر " (٢) .

" و للتناص القرآني ثراؤه واتساعه ، إذ يجد الشاعر فيه كل ما قد يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل ، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر ، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي الذي يتميز بهما الخطاب القرآني " (٣) .

ونحن في الصفحات القادمة نحاول أن نستخرج بعض تناصات الشاعر علي بن الجهم مع القرآن الكريم وكيف استفاد منه الشاعر ووظفه في أشعاره .

(١) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ٣١

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧

(٣) حصة البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ط ١ ، عمان ، دار كنوز المعرفة ، ٢٠٠٩ ، ص ٤١

ففي قصيدة طويلة مدح فيها علي بن الجهم الخليفة العباسي المعتصم بالله ،وتحدث فيها عن أعماله وفتوحاته وفرح الناس بها حيث قال :

نَصَبْتَ الْمَازِيَارَ عَلَى سَحُوقٍ (١) وَبَابِكَ وَالنَّصَارَى فِي نِظَامٍ
وَعُمُورِيَّةً ابْتَدَرْتَ إِلَيْهَا بَوَائِرُ مِنْ عَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ
مَنَاطِرُ لَا يَزَالُ الدِّينُ مِنْهَا عَزِيزَ النَّصْرِ مَمْنُوعَ الْمَرَامِ
وَقَدْ كَادَتْ تَرِيغُ قُلُوبُ قَوْمٍ فَلَأْبَرَأَتِ الْقُلُوبُ مِنَ السَّقَامِ (٢)

يمدح الشاعر علي بن الجهم المعتصم بالله في هذه القصيدة ،ويتحدث عن أعماله وفتوحاته ،حتى يصل إلى هذا البيت الذي يتحدث فيه عن الحال الذي آل المسلمون إليه ،فقد ضاق المسلمون نرعا بما كانوا يلاقونه من الروم ،وخاصة ما فعلوه في عمورية ، فقد ضجر المسلمون من هذا الوضع ، وقد طمع الروم في الدولة الإسلامية ،بسبب انشغال العباسيين بثورة بابك الخُرَّمي صاحب الفتنة أكثر من عشرين سنة ،و لكن المعتصم من خلال أفعاله كالقضاء على فتنة الخُرَّمي وثورته ، وفتح عمورية ،فقد أثبت للجميع قدرته على قيادة الدولة الإسلامية وحمايتها والنيل من أعدائها (٣).

تناص الشاعر علي بن الجهم في هذا البيت مع الآية الكريمة : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤)

تحدثت هذه الآية عن حال المسلمين المهاجرين و الأنصار في غزوة تبوك وما لاقوه من صعاب

(١) السحوق : الطويل يقال نخلة سحوق أي طويلة

(١) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بيك ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٩

(٢) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق

، ط١ ، المجلد ٦ ، من سنة ٢١٨هـ - ٣٠٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٤٠

(٣) سورة التوبة ، الآية ، ١١٧

ومشقة من الحر والعطش ،حتى كاد بعضهم أن يرتد عن الإسلام ويترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نتيجة هذه المتاعب والصعاب (١)، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمهم وقوى عزائمهم وصبرهم، وقد تاب على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في غزوة تبوك ،حيث تباطأ بعضهم وثقل بعضهم الآخر عن الجهاد ، ولكن الله ثبت قلوبهم بعد كل هذه المشاق (٢) .

استعمل الشاعر التناص مع الآية الكريمة ليدلل على الموقف المتشابه بين حال المسلمين يوم تبوك وحالهم من أفعال الروم والمشقة والصعاب التي تواجههم ، والعباسيون منشغلون بحربهم مع بابك ، فالسبب متشابه ، و لكن الزيغ مختلف فزيغ الآية الكريمة هو العودة إلى الكفر والتخلي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والزيغ هنا هو ضعف العباسيين في إدارة الحكم ،فرد الله الزيغ عن قلوب المسلمين بتثبيت قلوبهم على الإيمان ، ورد المعتصم الزيغ عن قلوب المسلمين بحكمة القوي ومجابهة الأعداء وهزيمة الروم .

وفي قصيدة يمدح فيها علي بن الجهم المتوكل " ولعل هذه القصيدة من أول ما قال

فيه من الشعر لما فيها من شرح سيرة المتوكل لما استخلف " (٣) حيث قال :

وَانْقَضَتْ الْأَعْدَاءُ مِنْ حَوْلِهِ كَحُمُرٍ أَنْفَرَهَا قَسُورُ (٤)

(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ج ٤ ، دار إحياء التراث ، بيروت، ص ٣-١١

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، اعتنى بها عمر عبد السلام السلامي ، ط ٢ ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص ٣٨٨

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧١ حاشية رقم ٣

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٤

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآية "كَانَ حُمْرٌ مُسْتَفِرَّةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَةِ ﴿٥١﴾" (١)

"ومشهد حمر الوحش وهي مستفرفة تفر في كل اتجاه ، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه . .
مشهد يعرفه العرب . وهو مشهد عنيف الحركة . مضحك أشد الضحك حين يشبه به الأدميون
حين يخافون فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر ، لا
لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكراً يذكرهم بربهم وبمصيرهم ، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك
الموقف المزري المهين ، وذلك المصير العصيب الأليم؟!" (٢).

إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون ، تتملأ النفوس ، فتخجل
وتستكف أن تكون فيه ، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل ، ويطامنون
من الإعراض والنفار ، مخافة هذا التصوير الحي العنيف! (٣).

" فكما تهرب الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمداً -

صلى الله عليه وسلم -هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد " (٤) .

جاء الشاعر بهذا التناص ليدل على قدرة المتوكل على قهر أعدائه ، وإشاعة الرعب
فيهم ، وذلك من خلال استخدام تناصه مع هذه الآية التي دلل الله سبحانه وتعالى فيها عن
إعراض الكفار والمشركين عن الدعوة والإسلام ، وقد هربوا وابتعدوا عنها مثل الحمر الهاربة
التي أشاع الأسد الرعب في قلبها ، فاجتمع المعنى في الآية الكريمة والمعنى الذي أراده الشاعر

(١) سورة المدثر ، الآية ، ٥٠-٥١

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط ٢٣ ، ج ٦ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٣٧٦٢

(٣) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٣٧٦٢

(٤) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ٣ ، ص ٣٤١

علي بن الجهم وهو هروب الأعداء خوفاً من هذا الأسد الكاسر ، وهو ممدوحه المتوكل .

وفي قصيدة بعث فيها علي بن الجهم إلى الخليفة المتوكل من حبسه يستعطفه طالباً

منه العفو، والصفح وإخراجه من السجن فقال :

فَشُكْرًا لِلنِّعْمَةِ إِنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدًّا (١)

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآية الكريمة " ﴿وَإِذَا تَذَكَّرْتُمْ أَنْ شَكَرْتُمْ

لَازِدَتْكُمْ وَلَنْ يَكْفُرْتُمْ إِنَّ أَعْذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٢) فالآية الكريمة تحت على شكر النعمة ؛ لأن كثرة

الشكر تزيد النعم ، فالله سبحانه وتعالى حث المسلمين على الشكر المتواصل للنعمة حتى تسوم

هذه النعمة وتزيد ، ونكران النعمة وعدم شكرها يمحق هذه النعم ويجعلها تزول (٣).

يمدح الشاعر هنا المتوكل ويذكره بنعم الله الكثيرة عليه ، وأن الشكر يكون سبباً في دوام

النعمة ، فالشاعر هنا يريد أن يذكر ممدوحه بالمكانة التي وصل إليها من عز وفخار وسؤدد وجاه

، فيحاول أن يذكره بذلك علّه يصفح ويعفو عنه ويخرجه من السجن .

وفي قصيدة بعث فيها علي بن الجهم إلى أخيه وهو في السجن يبث فيها حزنه ويتحدث

فيها عن مصيبتيه فيقول :

هِيَ الْأَيَّامُ تَكَلِّمُنَا وَتَأْسُو وَتَجْرِي بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ (٤)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٩

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٧

(٣) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ٢ ، ص ٦٥

وانظر: تفسير ابن كثير ، اعتنى به محمد انس الخن ، ط ١ ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٨ ،

ص ٧٦٧

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٨٢

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآية الكريمة : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

تحدثت هذه الآيات الكريمة عن حال المسلمين بعد غزوة أحد ، فخطب الله المسلمين بأنه يداول الأيام بين الناس ، فمثل القرح الذي أصابهم يوم أحد أصاب الكفار قرح مثله يوم بدر (٢).

فالحياة قسمها الله حزنا وسرورا ، فلا فرح يدوم ولا حزن ولا شقاء ، وهذا هو المعنى نفسه الذي أراده الشاعر ، فهو يحاول أن يواسي نفسه في السجن الذي وضعه فيه المتوكل . فالشاعر يتحول من حياة سعيدة وفرح وسرور ، وقرب ومنادمة للخليفة ليصبح حبس السجن خلف القضبان .

فالشاعر نتيجة الحالة النفسية التي يعيشها ، يطمئن نفسه على أن هذا الحزن وهذا الأسى وهذه المصيبة لن تكوم . والدليل على ذلك هو حديثه عن الأيام وما تجري به من سعادة وشقاء .

يذم علي بن الجهم أحمد بن أبي دؤاد (رأس المعتزلة) ويذكره بالمصير الذي ينتظره يوم

القيامة نتيجة أعماله وأقواله والطريق الذي يسير به فيقول :

يا وَيْحَ أَحْمَدَ كَيْفَ غَيَّرَ مَا بِهِ	غَشُّ الْخَلِيفَةِ وَالزَّمَانُ الْأَتَكُدُ
هَذَا مِنَ الْمَخْلُوقِ كَيْفَ بِخَالِقِ	لِعِقَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَلَكٌ لَهُ عَنَتِ الْوُجُوهَ تَخْشَعًا	يَقْضَى وَلَا يُقْضَى عَلَيْهِ وَيُعْبَدُ (٣)

(١) سورة آل عمران ، الآية ، ١٤٠

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ١ ، ص ١٥٨

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٨٨

تتأص الشاعر هنا مع الآية الكريمة : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا﴾ (١) تدل الآية على الخضوع والخشوع والذل الذي يصيب الناس يوم القيامة من الوقوف أمام الله تعالى (٢)، فالله سبحانه وتعالى إله يستحق العبادة والخضوع له طمعا في مغفرته، ورحمته، ودخول جنته، ونجاة من ناره، فهو يحكم بين الناس يوم القيامة بالعدل ليأخذ كل ذي حق حقه مهما صغر أو كبر، في حساب يوم عظيم تشيب منه الرضع، فيفوز من كان عابدا خاشعا مؤمنا، ويذل ويخسر من كان مشركا ملحدا متكبرا عدوا لله .

فالشاعر من خلال هذا البيت يذكر أحمد بن أبي دؤاد بما ينتظره يوم القيامة من مصير جزاء أفعاله التي عملها في الدنيا ، و يذكره بيوم القيامة وما به من مشاهد تذهل الأم عن ولدها؛ لأن الجميع في حالة ذل وخشوع للواحد الأحد فتتكرر ذلك.

وفي قصيدة غزلية يتحدث فيها علي بن الجهم عن جمال الحبيبة وبهاء وجهها، وتفضيلها

على الهلال والنجوم فيقول :

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ	فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا أَتَى وَرُ
سِوَى أَنْ ذَاكَ بَعِيدُ الْمَحَلِّ	وَهَذَا قَرِيبٌ لِمَنْ يَنْظُرُ
وَذَاكَ يَغِيبُ وَذَا حَاضِرٌ	وَمَا مِنْ يَغِيبٍ كَمَنْ يَحْضُرُ
وَتَفْعُ الْهَلَالِ كَثِيرٌ لَنَا	وَتَفْعُ الْحَبِيبِ لَنَا أَكْثَرُ (٣)

(١) سورة ، طه ، الآية ، ١١١

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، ج ٢ ، ص ١٧٠

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٣٩

تحدث الشاعر عن الحبيب من خلال تشبيهه بالهلال وكان في كل الأحوال يفضل الحبيب على الهلال ،فقد فضله بالنور والإشعاع ،وفضله بالقرب ،وفضله بعدم الغياب ،وفضله على الهلال بكثرة المنافع ،فقال إن منافع الحبيب كثيرة لمحبيه تفوق منافع الهلال فتناص الشاعر في هذا البيت الشعري مع الآية الكريمة : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِبُ النَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَكَيْسَ الْبُرْجَانِ تَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَمْرِ أَتَوْا النَّبُوتَ مِنْ أَبْوَاجِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) تدل الآية الكريمة على منافع الأهلة ،وهي جمع هلال حيث يوجد بها منافع كثيرة للإنسان أهمها معرفة الوقت والشهور من خلال منازل القمر ،ومعرفة رمضان ،وشهور الحج ووقته ،ومعرفة آجال العقود في البيع والإيجار وسداد الديون (٢) وغيرها الكثير. إذن جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المحددة بوقت مثل الصوم والحج والزكاة (٣).

وكان الشاعر أراد من خلال هذا البيت أن يرجع السامع إلى الآية الكريمة السابقة التي تدل على منافع الهلال ؛لأنه لا يريد أن يعددها من خلال ذكر الأهلة، ولكنه فضل الحبيب على كل منافع الهلال رغم عظم منافعه ليدلل على حبه وشوقه وولعه بهذا الحبيب ،وعلى تفضيله على كل شيء ، ومن هذه الأشياء الهلال الذي يعرف منافعه الجميع ولا تخفى على أحد .

(١) سورة البقرة ، الآية ، ١٨٩

(٢) أبو بكر جابر الجزائري أيسر التفاسير، ط ، ج ١، مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ، ١٩٩٤، ص ١٧١

(٣) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، ج ١ ، ص ٨٧

وفي قصيدة قالها يمدح المتوكل :

أَكَلَّمَا قُلْتُ خَبَا كَوَكَبٌ مِنْهُمْ بَدَا لِي كَوَكَبٌ يَزْهَرُ (١)

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآيات الكريمة التي تتحدث عن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام قال تعالى : "كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾" (٢) توضح الآيات القرآنية لنا قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه من خلال محاولته إقناعهم بوحدانية الله عز وجل ، وجرى ذلك من خلال تتبع الكواكب ، وهذا ما حدث فعلا ، فهو أراد أن يثبت أن الشيء الذي يزول لا ينفع ، فقد رأى أحد الكواكب ، فقال لهم هذا ربي ، فعندما خبا تنكر له وبحث عن إله آخر ، فوجد القمر بازغا قال هذا الإله الجديد ، ولكن القمر غاب وأفل ، فعندها تركه إبراهيم عليه السلام وتخلّى عن عبادته ، إلى أن رأى الشمس ، فقال هذا هو ربي ولكن الشمس مع مرور النهار لا بد أن تغيب ، وهذا ما حدث ، فعندها أعطاهم ملخص هذه القصة إنه بريء مما يقوم به قومه من عبادة للنجوم والأفلاك ، وإن المعبود الوحيد هو الله الحي القيوم

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٥

(٢) سورة الأنعام ، الآية ، ٧٥-٧٩

ذي الجلال والإكرام (١) .

امتص الشاعر هذه القصة وأسقطها على بني هاشم ،ليقول إنه عندما يموت منهم أحد فهو كالكوكب الذي يخبو ويغيب ولكن يظهر كوكب غيره أشد ضوءا ولمعانا منه ،وهذا ما يقوله الشاعر ويقرره ؛ إنه كلما مات خليفة من خلفاء العباسيين جاء خليفة أشد بأسا منه وقوة وسطوة وخوفا على الإسلام، فالشاعر استفاد من الآية الكريمة ليدلل على التجدد الدائم وإحلال الشيء مكان الآخر ليكون بديلا له وهذا هو حال ممدوحه .

وفي نفس القصيدة السابقة واصل الشاعر مدحه للمتوكل حيث قال :

فَرَدَّهُمْ طَوْعًا وَكَرْهًا إِلَى أَنْ عَرَفُوا الْحَقَّ الَّذِي أَنْكَرُوا (٢)

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآية الكريمة : ﴿ أَفَنُفِرُّدِينَ اللَّهُ يُفُونَ وَكَهْ أَسْلَمَ مَنْ

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣) فالمعنيان يسيران في طريق واحد؛ فالآية الكريمة تتحدث عن انقياد الناس وخضوعهم لله طواعية ،كالمؤمنين أو كراهية كالمشركين الذين اقروا بأن الله خالقهم وربهم وإن أشركوا معه في العبادة غيره ،فله خَشَع من في السموات والأرض، فخضعوا له بالعبودية، وأقروا له بإفراد الربوبية، وانقادوا له بإخلاص التوحيد والألوهية "طَوْعًا وَكَرْهًا" (٤).

(١) تفسير ابن كثير ، اعتنى به محمد انس الخن ، ط١، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٨ ،

ص٢١٩-٢٢٢

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص٧٥

(٣) سورة آل عمران ، الآية ، ٨٣

(٤) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ، ط ، مجلد ٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ٩٩٩ ، ص

و نتحدث الآيات عن انقياد الله دون معرفة مسبقة بذلك ، والشاعر يتحدث في بيت الشعر عن انقياد للعباسيين وخضوعهم وعودة للسنة والجماعة بعد أن عزف هؤلاء الأشخاص عن هذه الطريق ، واتبعوا البدع وأصحاب الكلام ، فالعودة هنا عودة أخرى قائمة على المعرفة المسبقة بذلك.

فالآية الكريمة والمعنى الذي أراده الشاعر هو العودة إلى الحق والطريق المستقيم إما طوعية أو رغما عنهم، فاستخدم الشاعر هذا المعنى الذي استخدم في الآية الكريمة ليمجد ممدوحه ويعظم من شأنه وشأن أفعاله .

ومدح علي بن الجهم المعتصم بالله في قصيدة طويلة متحدثا عن الفرح والسرور الذي أصاب الدين والناس حيث قال :

لَسَيْفِكَ دَانَتْ الدُّنْيَا وَشَدَّتْ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ انْفِصَامِ (١)

تناص الشاعر في هذا البيت مع الآية الكريمة: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

النِّمَى فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (٢)

وقد جاء هذا التناص من خلال حديث الشاعر عن أفعال ممدوحه المعتصم وأعماله، فقد عدد في القصيدة كثيرا من أعمال المعتصم من سد لباب الفتنة التي قامت على يد بابك الخرمي، وفتح عمورية بعد أن وصلت إلى مسامعه صرخة المرأة المسلمة وامعتصماه ، وثورة الزط تلك الجماعة الهندية ، وبعد هذا كله جاء الشاعر بهذا البيت الذي يجمل فيه ما قاله سابقا إن الدنيا قد رضخت وخضعت لحكم المعتصم ، ورضيت بذلك وقد أعاد للإسلام عزته ومجده وقوته وشده

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١١

(٢) سورة البقرة ، الآية ، ٢٥٦

عراه بعد هذا الانقسام بسبب الثورات والفتن، فالشاعر في هذا البيت يتناص مع الآية الكريمة السابقة تناسا عكسيا جزئيا، فالشاعر تحدث عن القوة التي أعادها للإسلام وعراه بعد أن انفصمت وتفككت وذهب عزه .

والآية الكريمة تدل على أن الإنسان الذي استمسك بالعروة الوثقى من الإسلام وآمن بالله فقد سار على الطريق الصحيح والمستقيم، وإنه تمسك بالدين تمسكا عظيما (١) لا يتركه ولا يخله ولا يتخلى عنه بل يبقى مدافعا عنه طوال حياته، ولكن هذا الأمر انعكس في حكم العباسيين، فقد اقبلوا على الإسلام مدافعين عنه متمسكين به مسخرين حياتهم له، ولكن الأمر فيما بعد تغير وبدأت المذات تطغى عليهم وحب الخلافة والحكم، فتنازع المسلمون حول ذلك، فاستأسدت الفرق الخارجية، وعظم خطر الروم، فجاءت القصيدة لتتلل على الوضع التي وصلت إليه الدولة الإسلامية من تفكك وفتن وتطاول الآخرين عليها : أي أن العروة الوثقى وهي الإسلام قد انفصمت وتهالكت وضعفت وتقطعت وأصبحت لقمة سائغة للآخرين، ولكن المعتصم قد أعاد العروة والقوة والمنعة للإسلام بعدما ذهبت وتقطعت وتطاول عليها الكفار، فعزة الإسلام هنا عادت بعد التطاول عليها ، و إن قدوم المعتصم للحكم سيكون تطبيقا عمليا للآية الكريمة، أي أنه سيتمسك بالإسلام، ولن يخله في يوم من الأيام، وأن هذه العروة لن تنفصم بعد اليوم تصديقا لكلام الله سبحانه وتعالى .

قال الشاعر علي بن الجهم يمدح المتوكل ويتحدث عن عطائه المتواصل وعن المعروف

الذي يبذله دون منٍّ أو أذى حيث قال :

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٤٠-٤٤٢

وَلَا يُتَّبِعُ الْمَعْرُوفَ مَتًّا وَلَا أَذَى وَلَا الْبُخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ حِينَ يُسْأَلُ (١)

يستعطف الشاعر في هذه القصيدة المتوكل فقد دارت الدوائر على الشاعر ، فبعدما كان نديما للخليفة وشى به الوشاة وتربص به المتربصون حتى عكروا صفو المودة بينه وبين الخليفة فأمر الخليفة بحبسه ، فنظم الشاعر قصيدة يستعطف الخليفة، ليخرجه من ظلمات السجن ، ويعفو عنه ، ومنها هذا البيت .

نلاحظ أن الشاعر تناسل فيه تناسلا مباشرا مع الآية الكريمة : "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾ (٢)

تمدح الآية الكريمة هذه الفئة من المسلمين الذين يخرجون أموالهم في الجهاد والخير ابتغاء وجه الله ، إنهم فئة فائزة برضى الله سبحانه تعالى، الذي سيدخلهم جناته جزاء لهم على هذه الأعمال الخيرة (٣) و استفاد الشاعر من هذه الآية في مدحه للمتوكل لافتا نظر المتلقي إلى هذه الآية الكريمة التي تدل على مصير هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بهذا العمل الصالح وهو ثواب الجنة ، فتحدث الشاعر عن الفعل ولم يتحدث عن الجزاء ، لأن الجزاء موجود ومعلوم في هذه الآية الكريمة التي يرجع ذهن المتلقي إليها سريعا بعد أن يقرأ هذا البيت فاستخدم الشاعر في هذا البيت نص الآية الكريمة حيث كانت :

الآية تقول : " لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى "

والشاعر يقول : لا يتبع المعروف منا ولا أذى

أورد الشاعر جزءا من نص الآية فقط استبدل المعروف بـ (أنفقوا) ، والآية تدل على الإنفاق

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٦٥

(٢) سورة البقرة ، الآية ، ٢٦٢

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٤٩

بالمال لكن الشاعر أراد تعميم هذا الحكم على كل معروف مستندا في ذلك إلى آيات أخرى من نفس السورة كالأية الكريمة: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (١) والأية الكريمة "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَمَرَّكَهَ صُدُودًا لَا يُبْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها الشاعر علي بن الجهم المتوكل ويتحدث عن خصاله وصفاته حيث يقول ابن الجهم :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ (٣)

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن نفسه التي يحملها ما يريد فتتحمل وتطيعه وهذا الحمل الذي يتحدث عنه الشاعر هو سجن المتوكل له بعد الوشاية به .

يتناص الشاعر هنا تناصا عكسيا مع الآية الكريمة "﴿لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) يتحدث الآية على أن لكل نفس من الأنفس طاقة محدودة للتحمل فالتكليف مربوط بالقدرة على تحمله

(١) سورة البقرة ، الآية ، ٢٦٣

(٢) سورة البقرة ، الآية ، ٢٦٤

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٦٢

(٤) سورة البقرة ، الآية ، ٢٨٦

وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم (١) ولكن الشاعر يحمل نفسه ما يريد دون النظر إلى قدرة نفسه على التحمل أم لا ، وكل هذا من أجل رد شماتة الأعادي والحساد الذين فرحوا بهذه المصيبة التي حلت به ، ونلاحظ أيضا أن عجز البيت قد تناسل مع الآية الكريمة: "﴿إِنْ يَسْئَلْكُمْ قَوْمٌ مَّا الْقَوْمُ فَرِحُوا بِمَثَلِ هَؤُلَاءِ لَأُولَئِكَ أَلَامُ نَدَائِهِمْ وَاللَّهُ يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾" (٢) ومعنى الآية يتحدث عن تقلب الزمان ودوران الأيام من أيام فرح إلى أيام حزن ، كما حدث للمسلمين في غزوة بدر وغزوة أحد ، فغزوة بدر نصر وفرح وغزوة أحد خسارة وحزن (٣).

و جاء الشاعر بهذا المعنى المستمد من الآية الكريمة ليثبت لحساده أن هذا المصائب هو من الأمور الطبيعية التي تحدث لأي إنسان ؛ لأن الله سبحانه وتعالى تحدث عن ذلك في هذه الآية والكل يعلم ما حدث للمسلمين بعد غزوة أحد من انتصارات وفتوحات ، وهذا ما يأمله الشاعر أن يحدث له بعد هذه المصيبة والحزن والمأساة سيعود الفرح والسعادة له ، وسوف يطلق سراحه ويخرج من السجن ، فلا تفرحوا كثيرا فقد يدور الزمان عليكم أيضا.

ونحن نلاحظ أن البيت الشعري تناسل واضح مع هذه الآيات الكريمة فقد كثف الشاعر فيه المعنى ، وكأنه أراد تلخيص القصيدة في هذا البيت مستندا إلى معنى هذه الآيات .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٧٩-٤٨٢

(٢) آل عمران ، الآية ، ١٤٠

(٣) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ١ ، ص ١٥٨

يمدح الشاعر علي بن الجهم المتوكل ، ويتحدث عن كرمه وعطائه الذي لا يجد له

نظيراً حيث قال :

قَالَ وَأَيْنَ الْبَحْرِ مِنْ جُودِهِ قُلْتُ وَلَا أضعافُهُ أَبْحَرُ (١)

يمدح الشاعر المتوكل في قصيدة عظيمة حتى يصل إلى هذا البيت الذي يتحدث فيه عن

عطائه وجوده ، فلا يجد أفضل من هذا التناص مع الآية القرآنية " ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَعْدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٢) والآية القرآنية : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي

الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) حيث

يجد الشاعر في معنى هذه الآيات ودلالاتها ومعناها العام شيئاً يخدم ويكثف دلالاته الخاصة ، على

أن كرم ممدوحه لا يجد له شبيهاً ، ولا ينفد ولا ينتهي ، ولا ينفرد به شخص دون آخر ، فجاء

بعدد الأبحر لينثر حفيظة المتلقي ويلفت انتباهه سريعاً إلى الآيات الكريمة السابقة ، التي تتحدث

عن عظمة الله سبحانه وتعالى بقوله : " لو كان البحر مداداً لكلمات الله ، والأشجار كلها أقلاماً ،

لانكسرت الأقلام ، وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء ؛ لأن أحداً لا يستطيع

أن يقدر قدره ، ولا يثني عليه كما ينبغي ، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه . إن ربنا كما

يقول ، وفوق ما نقول " (٤) فقد أورد الشاعر " ولا أضعافه أبحر " لينكر المتلقي بالآية الكريمة

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٢

(٢) سورة الكهف ، الآية ، ١٠٩

(٣) سورة لقمان ، الآية ، ٢٧

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٥٦

السابقة التي تتحدث عن نفاذ الأبحر لو كانت مدادا لكلمات الله، وأراد الشاعر من ذلك أن هذه الموازنة بين البحر وكرم المتوكل هي موازنة غير عادلة؛ لأن الشاعر يجد بكرم ممدوحه شيئا كثيرا لا يعادله عدد من البحور، فنحن نلاحظ تكثيف المعنى في الكلمات ولا أضعافه أبحر ليكون لها معنى واسع ودال على الآيات السابقة، وهذا يؤكد مقدرة الشاعر على التعامل مع النص القرآني واستثماره في نصه الشعري ليدعم فيه قوله ورأيه وتصوره، ويجمل فيه أبياته وقصائده.

ويدعم الشاعر قصيدته التي قالها في مدح المعتصم بتناصات كثيرة من القرآن الكريم، حيث مدح الشاعر المعتصم مدحا خلده التاريخ " تمجيذا لانتصاراته الرائعة المتتابعة التي هزت ضمير العالم الإسلامي هذا آنذاك " (١)، التي أعادت العزة للإسلام من سد باب الفتن، وهزيمة الروم في عمورية، " والقصيدة لم تكن مدحا لما يفهم من كلمة المديح عندما تطلق، وإنما كانت تصويرا لنفس الشاعر المبتهجة بالنصر المزهوة به، وتعبيرا عن فرحة الأمة بما حققه جيشه العظيم، وتقديرا للخليفة الهمام الذي محق أعداءها محقا " (٢) ويختم الشاعر قصيدته بالاحتجاج لبني العباس حيث يقول:

أَمَّا وَمُحَرَّمُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ	يَمِينًا بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ
لَأَنْتُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَوْلَى	بِمِيرَاثِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَنَامِ
تُجَادِلُ سُورَةُ الْأَنْفَالِ عَنْكُمْ	وَفِيهَا مَقْنَعٌ لِنَوِي الْخِصَامِ (٣)

(١) عبد الرحمن باشا، علي بن الجهم، حياته و شعره، ص ٩١

(٢) المرجع ذاته، ص ٩٢

(٣) ديوان علي بن الجهم، ص ١١

يمدح الشاعر في هذه الأبيات العباسيين ، ويتحدث عن مكانتهم الدينية ، إنهم امتداد للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيعتبرهم الأولى بالحكم ، ومن أجل ذلك وتأكيذا لهذا الرأي يتناص الشاعر مع الآية الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ (١) لم يصرح الشاعر بأي لفظ من هذه الآية ، وإنما ترك الأمر للمتلقي ليبحث بنفسه عن هذه الآية ، وصرح الشاعر في السورة كاملة وصرح بمعنى الآية الكريمة التي يعتبرها خير دليل على أن العباسيين هم أحق الناس بالخلافة حسب معنى الآية ، التي تدل على أن الأقارب هم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين (٢) ، فاستمد الشاعر من هذه الآية دليلا على حبه وتقديره للعباسيين ، فكان المعنى مكتفا تكتيفا رائعا وعظيما " فهو حين احتج لبني العباس لم يزد على أن أشار إلى سورة الأنفال التي تؤيد حقهم ، والأحاديث التي تشهد لهم دون أن يخوض في التفاصيل . وبذلك احتفظ لشعره بطابعه الشعري و التأثيري ولم يحوله إلى خطبة من خطب الساسة ، أو مقالة من مقالات المتكلمين " (٣) .

وفي بيت آخر يهجو الشاعر القاضي أحمد بن أبي دؤاد في قصيدة بعدما رفض أحمد التوسط للشاعر عند الخليفة المتوكل ليخرجه من السجن . فهجاه هجاء لاذعا حيث قال :

فَذُقِ الْهَوَانَ مُعْجَلًا وَمُؤَجَّلًا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ (٤)

يشمت الشاعر في هذا البيت بأحمد بن أبي دؤاد بسبب الفالج الذي أصابه " ، ويدعو الله

(١) سورة الأنفال ، الآية ، ٧٥

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٨٥-٤٨٦

(٣) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعره ، ص ١٧٨

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٩

أن يعجل في موته لينقذ البشرية من سيئات أعماله وآثاره " (١). ويقول له إن هذا هو جزاء أفعالك السيئة، فقد عطلت المجالس عن رواية السنة المشرفة، وحدثت عن طريق الهداية، وألقيت في السجن أصحاب الحديث ورملت النساء (٢). وهذا هجاء يتصل بالمذهب الديني، وقد ركز هجاءه على رجال المعتزلة والتدديد بمذهبهم وما فعلوه في أهل السنة والحديث، من قتل وحبس وأسر وتعذيب، وخاصة أحمد بن أبي دؤاد الذي كان له دور كبير في مسألة خلق القرآن زمن المأمون والمعتصم والواثق (٣).

فيقول له: أن هذا جزاء أفعالك السيئة وعدم مساعدتك الآخرين، فهذا جزاء الدنيا وأبشر أيضا بجزاء الآخرة، لأن الله سبحانه وتعالى يرصد أعمال العباد ويسجلها، فلا يفوته شيء منها حتى يحاسبهم يوم القيامة عنها، وأنت أعمالك السيئة كثيرة، فأبشر بالمصير الذي ينتظرك عند الله سبحانه وتعالى.

والشاعر تتأصع مع الآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِ الرَّصَادِ﴾ (٤) تتحدث الآية عن مراقبة الله لعباده ورصد أعمالهم حتى يحاسبهم بها يوم القيامة (٥)، فاستخدم الشاعر ألفاظ الآية الكريمة ومعناها في تتأصع، ولكن نلاحظ أن الشاعر استخدم رب العرش بدل (إن ربك) وجاءت بالمرصاد كما هي فأراد الشاعر أن يذكر أحمد ابن أبي دؤاد بأن الله عالم بكل شيء ولا يخفى

(١) مجاهد بهجت، الملامح الإسلامية في شعر علي بن الجهم، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، عدد ٩،

١٩٨٤، ص ٣٤٢

(٢) المرجع ذاته، ص ٣٤٢

(٣) عبد الرحمن باشا، علي بن الجهم حقيقته وشعره، ص ١٤١-١٤٢

(٤) سورة الفجر، الآية ١٤

(٥) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٧٧٠

عليه شيء من أعمالك التي كنت تقوم بها.

ومن تناصاته " وصفه لجيش المتوكل بقيادة بغا ،وقد شهد القتال إسحاق بن إسماعيل فقتله وحمل رأسه إلى الخليفة وفتح أرمينية " (١)، فانشد قصيدته التي يهنئ فيها المتوكل بالفتح ويمدحه حيث قال :

ضَرْباً طَلْحَفاً (٢) لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَمَنْجَنِيْقٍ مِثْلِ حَلْقِ الْفِيلِ
تَرْفُضُ عَنْ خُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجِيلِ
تَتَرَكُ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضَلِيلِ مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ رَجْعِ الْقِيلِ (٣)

يصف الشاعر هنا فرسان المتوكل وشجاعة قائدهم وكيف ألحق الهزيمة بإسحاق بن إسماعيل، ومن خلال وصف هذه المعركة تحدث الشاعر عن أحد مشاهد المعركة ،عن الحصار الذي ضربه بغا على إسماعيل وجيشه، والمنجنيق التي كانت تدكهم دكا ، والتي كانت سببا مباشرا من أسباب النصر على العدو ، " فهو يعرض عليك شريطا رائعا لمعركة وفر لها مخرجها ما تحتاج إليه من موسيقى تصويرية تهز القلب هذا ،ومناظر مثيرة تحبس أنفاس النظارة ،وحركة دائبة تشدهم إلى المشاهد شدا ،فصور المعركة بأفراسها وفرسانها وعتادها وسلاحها ،وظل يتابع المشاهد من خلال الرجز الهادر حتى بلغ بها نهايتها وأوقف المتفرجين على نتائجها " (٤)، وكان

(١) أمل رجبان القتامي ، الوصف في شعر علي بن الجهم ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور حسن محمد

باجودة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٧هـ ، ص ٢٦

(٢) طلحفا: شديدا

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٧٥-١٧٦

(٤) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم حياته وشعره ، ص ١٦١

هذا المشهد تناسبا مباشرا مع سورة الفيل قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ نَاقُولٍ ﴿٥﴾ (١) فالآيات الكريمة تتحدث عن قيام أبرهة الحبشي بغزو مكة المكرمة من أجل هدم الكعبة المشرفة (٢) .

فتتأص الشاعر مع هذه الآيات تناسبا مباشرا من حيث المعنى والألفاظ، فالمعنى نفسه يتحدث عن معركة استخدمت فيها الحجارة المقذوفة من أعلى بالمنجنيق، والألفاظ كذلك نفسها فاستخدم الشاعر الفيل، والحجر، وسجيل، وكيد القوم في تضليل، فأعاد الشاعر صياغة الآية الكريمة صياغة جديدة لتناسب القصيدة من حيث الوزن والقافية، وبذلك يكون الشاعر قد استحضّر قصة أصحاب الفيل وما حدث لهم في ذلك اليوم من هزيمة نكراء مازالت الأقوام تتناقل قصتهم، من خلال الآيات الكريمة ليصف الحال الذي آل إليه إسحاق بن إسماعيل وجيشه في ذلك اليوم والهزيمة النكراء التي لحقت بهم من جيش الخليفة المتوكل.

(١) سورة الفيل

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٨٣٩-٨٤٥ ففي الأثر أن عبدالمطلب قدم إلى أبرهة يريد الإبل التي أخذها فسأله أبرهة وقال: تسأل عن الإبل ولا تسأل عن سبب قدومنا إلى هنا وهو هدم الكعبة فقال مقولته المشهورة الإبل أنا ربها وللبيت رب يحميه فأخذ الإبل ورجع فعزم أبرهة على مواصلة زحفه لهدم الكعبة وفي الطريق بعث الله عليه وعلى جيشه طيورا أبابيل كل طير يحمل ثلاثة أحجار اثنتان في قدميه والثالث في منقاره ويرميها على الجيش فهزموا شر هزيمة على يد هذه الطيور الصغيرة التي بعثها الله لهم ليحمي بيته الحرام ويرد عليهم كيدهم حتى أصبحوا كالهشيم اليابس

وفي مقطوعة صغيرة أبدع الشاعر في وصف لعبة الشطرنج ، حيث وصف اللعبة

وصفا مبدعا جميلا ومما قاله فيها :

أَرْضٌ مُرَبَّعَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ مَا بَيْنَ الْفَيْنِ مَعْرُوفِينَ بِالكَرَمِ
تَذَاكُرُ الْحَرْبَ فَاحْتَالَا لَهَا فِطْنًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا فِيهَا بِسَفْكِ دَمٍ
هَذَا يُغَيِّرُ عَلَى هَذَا وَذَلِكَ عَلَى هَذَا وَعَيْنُ حَلِيفِ الْحَزْمِ لَمْ تَمِّ

فَاتَظَرُ إِلَى بُهَمٍ (١) جَاشَتْ بِمَعْرَكَةٍ فِي عَسْكَرَيْنِ بِلَا طَبْلِ وَلَا عِلْمٍ (٢)

تحدث الشاعر عن الحرب السلمية التي تدور بين فريقين كل يحاول أن يرسم خططه الحربية ، ليفوز وينتصر على خصمه، فلعبة الشطرنج كما وصفها الشاعر هي ساحة حرب تستخدم فيها كل الخطط الحربية لهزيمة الخصم، ولكن هذه الحرب الضروس كما يصورها الشاعر لا تسيل فيها قطرة دم من أحد الطرفين، ولا يتحمل طرف فيها وزر إزهاق روح أو سفك دم ،فتناص الشاعر في هذا البيت مع الآية الكريمة " ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) أشارت الآية لكلام الله الموجه للملائكة في كونه قد جعل خليفة في الأرض، ورد الملائكة أن ذلك سيؤدي إلى فساد في الأرض ،وسفك للدماء فيها ،فالآية تحدثت عن كثرة إراقة الدماء في الأرض على يد الإنسان(٤) ،والشاعر تحدث عن معركة طاحنة ولكن لا تراق

(١) البهم : جمع بهمة : وهو الشجاع

(٢) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم ببيك ، ص ١٧٩

(٣) سورة البقرة ، الآية ، ٣٠

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١١٢-١١٦

فيها قطرة دم فاستخدم الشاعر ألفاظ سفك الدم ليحيل المتلقي إلى الآية الكريمة مباشرة .

ويصف الشاعر في قصيدة طائر الهدد وهو حلقة الوصل بينه وبين المحبوبة بذكرنا

بقصته مع سيدنا سليمان عليه السلام حيث قال :

لا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَيِّ الْقَرَّاطِيسِ
أَوْ طَائِرًا سَاحِلِيهِ وَأَنْعَتُهُ قَدْ كَانَ صَاحِبَ تَابِيدٍ وَتَأْسِيسِ
صَفَرٌ تَرَائِبُهُ سَوْدٌ ذَوَائِبُهُ حُمْرٌ حَمَالِيْقُهُ فِي الْحُسْنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هَمَّ سُلَيْمَانَ لِيَقْتُلَهُ لَوْلَا سِعَالَتُهُ فِي عَرْشِ بَلْقِيسِ (١)

يصف الشاعر طائر الهدد بصفات جميلة وحسنة ويجعله هو حامل الأسرار بينه وبين

محبوبته ، ويتحدث عن قصته مع سيدنا سليمان عليه السلام عندما تفقد الطير ولم يجده ، ومن

أجل ذلك تناص الشاعر تناصا مباشرا مع الآيات الكريمة في سورة النمل: " وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا

لِيَ لَأَأْرَى أَلْهَدُهُدًا مَكَانَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَتَمَكَّتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مَبِينٍ ﴿٢٢﴾

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
مُورِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُ أَمْ كُنتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ (١) التي تسرد

قصة الهدد مع سيدنا سليمان عليه السلام وسبب غيابه وتأخره والقصة مشهورة (٢).

فالشاعر تناص تناصا مباشرا مع القصة السابقة ليعطي الطائر صفة غير التي ذكرها
،وهي صفة الأمانة والقدرة على تحمل المسؤولية الموكولة له، فتناص الشاعر مع الآية الكريمة
السابقة ليعظم من شأن هذا الطائر الأمين الذي عرف بالأمانة منذ زمن سيدنا سليمان عليه
السلام، فأجمل الشاعر قصة الهدد مع سيدنا سليمان عليه السلام في بيت واحد الشطر الأول
كان سبب غضب سيدنا سليمان عليه، والثاني السبب الذي نجا به من العقاب، وهذا البيت بدوره
يحيل إلى قصة الهدد كاملة في سورة النمل .

وقال الشاعر في مدح المتوكل وحق بني العباس في الخلافة ،وولاء الشاعر للمتوكل

هو وأهل خراسان حيث قال :

أَنْتُمْ خَيْرُ سَادَةٍ يَا بَنِي الْعَب	بِاسٍ فَابْقُوا وَنَحْنُ خَيْرُ عَبِيدِ
نَحْنُ أَشْيَاعُكُمْ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَا	نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبِاسٍ شَدِيدِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ هَذِهِ الْخَرِقِ السَّو	دِ وَأَهْلُ التَّشْيِيعِ الْمَحْمُودِ

(١) سورة النمل ، الآيات ، ٢٠-٢٧

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٢٩-٥٣٩

إِنْ رَضِيتُمْ أَمْرًا رَضِينَا وَإِنْ تَأَبَّيْنَا لَكُمْ إِبَاءَ الْأَسْوَدِ (١)

تحدث الشاعر عن أهل خراسان الذين يعتبرون هم أهل الدعوة العباسية، وهم أول المناصرين للعباسيين عندما طالبوا بالخلافة، ويفخر الشاعر دائما ويعتز بكونه من خراسان، ولا ينفك دائما يظهر الولاء والطاعة للعباسيين، ويتحدث الشاعر في هذا البيت عن صفات أهل خراسان الذين يتمتعون بالقوة والشجاعة وتحمل الصعاب والمشقة ومقارعة الخطوب، فهم أولو قوة وبأس شديد، فأشياءكم من أهل خراسان هم رعية لخير رعاة، فهم يسرون خلف العباسيين على السمع والطاعة، فإن أراد العباسيون أمرا أرادوه، وإن رفض العباسيون أمرا رفضوه، فهم مسخرون أنفسهم لخدمة العباسيين والدولة العباسية، وهذا لا يعيب الشاعر بل يفتخر به؛ لأن ولاءهم هذا نابع من القلب ولا علاقة له بالخوف، فهم كما أسلف قوم يتمتعون بالشجاعة والقوة فتناص الشاعر مع الآية الكريمة: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٢) تناصا مباشرا واستخدم ألفاظ الآية الكريمة نفسها "أولو قوة وبأس شديد" والآية الكريمة تتحدث عن قوم بلقيس عندما استشارتهم برسول سليمان فردوا بذلك القول، إنهم قوم أقوياء وشجعان ولكنهم يردون الأمر والقرار النهائي لبلقيس، فإن أرادت الحرب حاربوا وإن أرادت السلم سالموا (٣)، فنلاحظ أن الشاعر أحال إلى هذه القصة في الآيات السابقة التي تدل على موقف أهل خراسان الذي يشابه موقف قوم بلقيس، فقد استخدم الشاعر هذه القصة استخدما مركزا ومؤثرا أثناء حديثه عن ولاء أهل خراسان للدولة العباسية وخليفتها المتوكل.

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ٣٤

(٢) سورة النمل، الآية ٣٣

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٥٣٣

يتحدث الشاعر عن مرض المتوكل ووصف حال الأرض و المسلمين وما حل بهم في مرضه وفرح الناس بعوده صحته إليه حيث قال :

كَادَتِ الْأَرْضُ أَنْ تَمِيدَ لِشَكْوَا كَ وَكَادَتِ لَهَا الْجِبَالُ تَزُولُ
وَاسْتَحَالَ النَّهَارُ وَاللَّيْلُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْبِقَ الْغُدُوَّ الْأَصِيلُ (١)

تحدث الشاعر في هذه القصيدة عن المرض الذي أصاب الخليفة وما حدث للناس والأمة، "وبالغ الشاعر في أثر اعتلال المتوكل في الحياة والناس مبالغة لا يسيغها العقل ولا يقبلها إلا من شاعر، فزعم أن الأرض مادت لعلته، وأن الجبال اضطربت لمرضه، وأن دورة الفلك اختلت بسببه، حتى كاد أن يسبق الغدو الأصيل " (٢)، فالأرض بسبب شكواه من المرض والعلة كادت أن تهتز، والجبال أن تزول وتلك، وكاد الليل أن يسبق النهار، "وروى المؤرخون أن سنة ٢٣٤ هـ وهي السنة التي اعتل بها المتوكل ثارت الطبيعة ثورة عارمة، أهلك الحارث والنسل، وزلزلت البلاد وضافت العباد، وشلت وجوه النشاط في كثير من الأنحاء (٣)، فقد جاء في كتاب تاريخ الخلفاء " ومن عجائب هذه السنة أنه هبت ريح بالعراق شديدة السموم ولم يعد مثلها، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً، واتصلت بهمدان وأحرقت الزرع والمواشي، واتصلت بالموصل وسنجان ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي بالطرقات وأهلك خلقاً عظيماً " (٤).

(١) ليوان علي بن الجهم ، ص ٢٣

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم حياته وشعره ، ص ١١٦-١١٧

(٣) المرجع ذاته ، ص ١١٧

(٤) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٠٧
وانظر ابن العماد الإمام شهاب الدين الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوظ ومحمد الأرناؤوظ ، ط ١ ، ج ٣ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٧
وانظر ابن الجوزي ، أبو فرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا ، ط ١ ، ج ١١ ، دار للكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٢٠٩

" فأعمل الشاعر خياله في الأمر وربط ثورة الطبيعة هذه بمرض المتوكل " (١) فقال ما قاله سابقا عن اختلال موازين الطبيعة .

تناص الشاعر في البيت الأول مع الآية الكريمة: ﴿ نَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ

الْجِبَالُ هَدًّا ۖ ﴾ (٢) التي تتحدث عن الغضب الذي أصاب الكون والطبيعة نتيجة مقولة المشركين إن

الله سبحانه وتعالى اتخذ ولدا ، فنتيجة هذا القول الفاجر انفطرت السماوات وانشقت الأرض،

واهتزت الجبال وهدت، وسقطت من هول هذا القول الذي قال به الكفار، " كاد يكون ذلك عند

سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظاماً للرب وإجلالاً؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على

توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا

كفاء له، بل هو الأحد الصمد " (٣)، إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال،

وجميع الخلائق إلا الثقلين، فكادت أن تزول منه لعظمة الله (٤)، تناص الشاعر مع الآية من

حيث المعنى ، فالطبيعة غاضبة هائجة في كلا الحدين ولكن سبب الغضب يختلف من الآية

الكريمة الذي كان بسبب ما قاله الكفار إن الله اتخذ ولدا ، وسبب الغضب في البيت الشعري هو

الحزن والألم من شكوى المتوكل المريرة نتيجة المرض الذي أصابه، فالشاعر كثف المعنى من

خلال إحالة المتلقي إلى الآية الكريمة ليدلل عل عظمة الحدث والموقف الذي يتحدث عنه، وهو

(١) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم حياته و شعرة ، ص ١١٧

(٢) سورة مريم ، الآية ، ٩٠

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٠٣

(٤) المرجع ذاته ، ج ٣ ، ص ٢٠٣

"مرض المتوكل وأثره في البلاد والعباد" (١)، رغم اختلافه عن موضوع الآيات الكريمة التي نتحدث عن الشرك بالله سبحانه وتعالى .

وفي البيت الثاني قال الشاعر :

وَاسْتَحَالَ النَّهَارُ وَاللَّيْلُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْبِقَ الْغَدُوَّ الْأَصِيلُ (٢)

يتحدث الشاعر عن الخلل الذي أصاب الطبيعة أيضا من خلال الاضطراب الذي أصاب حركة الليل والنهار، حتى كاد الليل أن يسبق النهار من شدة الحزن على الخليفة، وما وصلت إليه حالته الصحية وأراد الشاعر أن يكمل ثورة الطبيعة نتيجة هذا المصاب الجلل؛ فتناص مع الآية الكريمة : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣) وتتحدث الآية عن هذا الكون أنه يسير في نظام ثابت مقدر من عند الله سبحانه وتعالى خالقه، فكل يجري بمداره لا يتأخر ولا يتقدم، فتناص الشاعر مع هذه الآية تناصا عكسيا ولكنه استخدم معظم ألفاظ الآية الكريمة والآية تدل على ثبات الكون ونظامه، فعمد الشاعر إلى تغيير هذا النظام المترن ليطور بيته ويعطيه معنى قويا من خلال اختلال نظام الطبيعة حزنا على المتوكل وما أصابه، ومن خلال هذا يلفت نظر المتلقي إلى الآية الكريمة السابقة ويلفت نظره إلى الحالة التي أصابت العباد نتيجة مرض المتوكل.

في قصيدة كتب بها الشاعر إلى أخيه من السجن يتحدث فيها عما أصابه من محنة السجن، ويظهر في القصيدة الجانب الإيماني الواضح، فمنذ مطلع القصيدة يتحدث عن التوكل

(١) عبد الرحمن باشا، علي بن الجهم حياته وشعره، ص ٢١٠

(٢) ديوان علي بن الجهم، ص ٢٤

(٣) سورة يس، الآية، ٤٠

على الله والرضا بالقضاء والقدر وعظمة الله وعفوه وعطائه حيث يقول :

فَمَا أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضَرْيَ وَكَمْ أَفْزَعَ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ

وَلَمْ لَا أَشْتَكِي بَنِي وَحْزَنِي إِلَى مَنْ لَا يَصْمُ عَنِ النِّدَاءِ (١)

يصل إلى البيت الذي يتحدث فيه عن قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء، وخاصة كشف البلوى والضرر الذي هو فيه، عندها يتحدث عن اليقين في الرجوع إلى الله من خلال الدعاء الصادق أن يفك ضيقه ويخرجه من كربته، وهو السجن؛ لأنه متيقن كل اليقين من عدل الله سبحانه وتعالى، فهو يتحدث عن مناجاة ربه والضراعة إليه ورفع حاجته لله سبحانه وتعالى، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو يتناص هنا مع الآية الكريمة: ﴿قَالَ

إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢) وهذا الكلام على لسان

يعقوب عليه السلام وهو يرد على كلام أبنائه، إنه لا يشكو حزنه وهمه على فراق ابنه يوسف إلا لله سبحانه وتعالى، وأنه يعلم أن رؤيا يوسف حق وأن الله لا بد أن يظهرها وينجزها (٣).

تناص الشاعر هنا تناصا مباشرا مع الآية الكريمة في الألفاظ والمعنى، فالألفاظ البيت اشتكى بتي وحزني وألفاظ الآية " أشكو بتي وحزني " والمعنى أيضا واحد هو مناجاة الله واللجوء إليه وقت الشدة والضيق والهم.

" وفي هذا التناص تبرز ثقافة الشاعر القرآنية وقدرته على توظيف محنة سيدنا يعقوب عليه السلام، وخروجه من المحنة بقاء ولده يوسف بعد فقده ، وانقطاع أمله إلا في ربه مستخدما هذا

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٨٢

(٢) سورة يوسف ، الآية ، ٨٦

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٧١٢

التناص في تصوير محنته ومعاناته وأمله ورجائه في ربه أن يخرج من سجنه المظلم، كما أخرج يعقوب من محنته وأخرج يوسف من سجنه " (١)

كثف الشاعر المعنى في هذا البيت من خلال صدر البيت عندما أحال المتلقي على قصة سيدنا يوسف وأبيه يعقوب _عليهما السلام_ وما كان فيها من أذى وحزن وألم من أقرب الأقارب وهذا ما يحدث للشاعر من حبس على يد صديقه ونديمه الخليفة المتوكل .

(١) عبدالسلام الراغب ، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، رسالة دكتوراة، جامعة حلب ،إشراف

المبحث الثاني : التناسل مع الحديث النبوي الشريف

الحديث النبوي الشريف : هو كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد الذكر الحكيم ، فكما تأثر المسلمون بالقرآن الكريم وظهر في كلامهم وأشعارهم تأثروا كذلك بالحديث الشريف .

وشاعرنا علي بن الجهم تأثر بالحديث النبوي الشريف وظهر عدد من التناصلات المباشرة أو الإشارية إلى الأحاديث النبوية الشريفة ، حيث كانت هذه المرحلة التي عاشها مرحلة حرجة ضيق فيها على أصحاب السنن بسبب مسألة خلق القرآن التي نادى بها أصحاب الكلام والمعتزلة ، وتصدى لها الإمام الجليل أحمد بن حنبل (١)

ونحن نحاول من خلال الصفحات القادمة إظهار تأثر الشاعر علي بن الجهم بالسنة النبوية والنهل منها بما يناسب معانيه ويخدم أفكاره ومبادئه السنية .

(١) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل

في مقطوعة صغيرة مدح فيها الشاعر علي بن الجهم خلق الحياء حيث قال:

إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَلْبًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ
وَلَمْ يَكْ لِلدَّوَاءِ وَلَا لِشَيْءٍ يُعَالِجُهُ بِهِ عَنَّهُ غَنَاءُ
وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
وَكَانَ هُوَ الَّذِي أَلْهَى وَلَكِنْ إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَلَا دَوَاءُ (١)

تحدث الشاعر في هذه المقطوعة عن خلق من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتمتع بها كل شخص ألا وهو خلق الحياء ،وقال إذا سلب الحياء من الشخص لم يبق هناك شيء يردعه عن عمل الكثير من الأمور السيئة ،ووجود الحياء الذي يتمتع به الإنسان السوي يردده ويكون رادعا له عن ارتكاب بعض الأعمال السيئة والردائل . لذا يعد الشاعر الحياء هو الدواء الشافي للإنسان من السير في دروب القبح والرديلة .وقد تناص الشاعر هنا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْتَحْ مَا شِئْتَ " (٢) والذي يدل على أن الحياء هو المميز والرادع عن ارتكاب المعاصي والفواحش و الأعمال السيئة ، فقد أعاد الشاعر صياغة الحديث وشرحه بما يناسب أبياته الشعرية.

فالأبيات هنا إعادة صياغة للحديث من حيث المعنى والألفاظ .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٠٣

(٢) البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، شرح وتحقيق قاسم

الرفاعي ، ط ٣ ، ج ٨ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ١٩٩٧ ، حديث رقم ٩٩٧ ، ص ٣٥٧-٣٥٨

وفي قصيدة مدح قالها الشاعر في المتوكل نجده يتناص فيها مع الحديث الشريف
حيث قال :

وَمَنْ شَكَرَ الْعُرْفَ اسْتَحَقَّ زِيَادَةً كَمَا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مَنْ كَانَ مُنْعِمًا (١)

يتحدث الشاعر عن المعروف بين الناس وحسن رد الجميل ،وعن عملية تبادل الإحسان بين الناس ،فمن حسن الخلق إسداء المعروف لمن يستحقه خاصة من لا ينكره ،ومن حسن الرد شكر صاحب المعروف على معروفه وإظهار فضله جزاء له على هذا العمل الذي قام به، فتناص الشاعر مع الحديث النبوي: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ " (٢) يحث الحديث النبوي على حسن الرد وشكر الناس على معروفهم ،وجعل ذلك من شكر الله سبحانه وتعالى ؛لأن الله هو من سخر هذا الإنسان لعمل هذا المعروف لهذا الشخص ،فاعتمد الشاعر على هذا الحديث وتناص معه تناصا مباشرا جزئيا ، حيث تحدث عن وجوب شكر صاحب المعروف على ما قدمه ،دون التطرق لربط هذا الشكر بشكر الله سبحانه وتعالى ،فاعتمد الشاعر على جزء من الحديث وأقام بيته عليه ليمتدح المتوكل ويوضح له أنه صاحب فضل كبير على الشاعر ، وأن الشاعر علي بن الجهم لا ينكر هذا الفضل بل يقابله بالشكر والمودة وحسن الطاعة له.

مدح الشاعر المتوكل في قصيدة جميلة وتحدث عن أخلاقه وأعماله حتى وصل الحديث

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٠

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد

، ط ١ ، ج ٥ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٩٩٧ ، حديث رقم ٤٨١١ ، ص ١٠٢

عن الرخجي الذي وضع المتوكل حدا له ولشروره حيث قال:

وَالرُّخْجِيُّ الْأَعْوَرُ ال
دَجَالُ مِنْ أَمْرَائِهَا
يُمَضَى الْأُمُورَ مُعَاتِدًا
لِلَّهِ فِي إِمضَائِهَا
يُغْرِي بِقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ
تِ وَكَيْسَ مِنْ أِبْنَائِهَا (١)

وصف الشاعر هذا الرجل بالأعور الدجال دلالة على قبح أفعاله ودهائه وخيانتة، وتحدث عن بعض أفعاله وخاصة قذف المؤمنات المحصنات الغافلات واستباحة أعراضهن ،وقد أورد الشاعر هذا الفعل ليدلل على حجم الأعمال السيئة التي يقوم بها، " وكأنه بهذا الوصف المثير بدلالاته الدينية الموحية بالدجل والبعد عن الحقيقة يصف مذهب الاعتزال نفسه " (٢) فتناص الشاعر هنا مع الحديث النبوي الشريف القائل : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسُّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَكُّيْ يَوْمَ الزَّخْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ (٣) والذي يتحدث عن السبع الموبقات والتي منهن قذف المحصنات التي أوردها الشاعر، فتناص الشاعر هنا تناصا واضحا مباشرا مع ألفاظ الحديث النبوي ومعناه .

فأورد الشاعر هذا الفعل ليحيل المتلقي إلى هذا الحديث الشريف الذي يتحدث عن أعظم الذنوب التي يرتكبها الناس ليظهر فحش عمل الرخجي وخبثه.

" قال الشاعر يمدح المتوكل ولعل هذه القصيدة أول ما قال فيه من الشعر لما فيها من شرح

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٠

(٢) عبدالسلام الراغب ، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، ص ١١٦

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، حسن عباس قطب ، ط ١ ، ج ١ ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، حديث رقم ٨٩ ، ص ٨٧

لسيرة المتوكل لما استخلف " (١) وتحدث فيها عن جمال أخلاق المتوكل ، وحسن أفعاله ، ورزانة أقواله حيث قال :

وَتَطْرَبُ الْخَيْلُ إِذَا مَا عَلَا مُتَوْنَهَا فَالْخَيْلُ تَسْتَبْشِرُ (٢)

حيث جعل الشاعر من الخيل أنها تطرب وتستبشر وتفرح بوجود المتوكل فوق سرجها ، فوجوده بالنسبة للخيل دليل بشارة على النصر والمغنم .

وهنا الشاعر تناص تناصا غير مباشر مع الحديث النبوي الشريف : " أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ " (٣) يتناول الحديث النبوي هنا قيمة الخيل وفوائدها فيقول : إن الخير والمغنم موجود ومرتبطة بنواصي الخيل ، فمن هذا الحديث تبين لنا حث الإسلام على العناية بالخيل والمحافظة عليها ؛ لهذا اقترن وجود الخيل بالبشارة و المغنم كما ورد في الحديث الشريف ، وهذا يتوافق مع ما أورد الشاعر الذي جعل من وجود الخليفة على سرج هذا الفرس بشارة بالنصر والمغنم .

ومن هنا تناص الشاعر مع الحديث النبوي من خلال ذكر الخيل والبشارة ليحيل المتلقي إلى الحديث الشريف السابق من أجل تعظيم ممدوحه وتعظيم أفعاله .

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس فعربد عليه بعضهم فغضب وخرج من المجلس واتصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧١

(٢) المرجع ذاته ، ص ٧٢

(٣) صحيح البخاري ، ج ٤ ، حديث رقم ١٠٤٥ ، ص ٤٢٧

فقال يهجوهم (١):

بَنِي مُتَيْمٍ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْخَبِيرُ وَكَيْفَ يُسْتَرُ أَمْرٌ لَيْسَ يُسْتَرُ
حَاجِبَتُكُمْ مِنْ أَبُوكُمْ يَا بَنِي عُصَبٍ شَتَّى وَلَكِنَّمَا لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ (٢)

يستهل الشاعر قصيدته بطرح سؤال على مناوئيه مشككا في سلامة نسبهم من خلال نسبهم إلى متيم هذه المغنية التي اشتراها علي بن هشام، فولدت له مجموعة من الأبناء، فهو يذكرهم بهذه الأم التي كانت تتادم السكاري وشاربي الخمر، فهي غير ممنوعة عن أحد فهو يتحدث عن عمل الفاحشة والزنا .

فتناص الشاعر تناسبا مباشرا واضحا من خلال المعنى والألفاظ مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ " (٣) من خلال هذه الإحالة الواضحة للحديث السابق استطاع الشاعر أن يجمل الكثير من القول في هذا التناص من خلال حديثه عن العاهر التي وردت في الحديث الشريف، والذي يتحدث عن نسب الأطفال إذا حدث الزنا ،فقصد من هذا التناص هجاء مريرا لهؤلاء القوم الذين تعرضوا له وآذوه .

وفي بيت يتحدث فيه الشاعر عن فضل كثرة الولد والنسل حيث يقول :

أَكْثَرُ صَبِيَانِ بَيْتِي لِكَيِّ أَغِيْظُ بِهِم مَعْشَرَ حُسْدَا (٤)

(١) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ، ، ط١ ، ، دار الكتب العلمية،

بيروت ، ١٩٩٠، ص ١٠٣

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٣٣

(٣) صحيح البخاري ، ج ٨ ، حديث رقم ١٦٦٥ ، ص ٥٨١

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٨٠

يعد الشاعر كثرة الولد والنسل من الأشياء المحمودة؛ لأن ذلك يعتبر عزاً له وسبباً يغيظ به الأعداء، لأن كثرة الأولاد كانت من مزايا المجتمع العربي وما زالت حتى يومنا هذا، والشاعر تناص هنا تناصاً إشارياً مع الحديث النبوي الشريف الذي يحث على الزواج حيث قال : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَصْبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِنَّمَا أَنَّهُ لَا تَلِدُ أَفَاتَزَوَّجُهَا فَهَآءُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَهَآءُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَهَآءُ فَقَالَ تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوُدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ" (١) فمعنى الحديث يدل على ترغيب الشباب بالزواج، لأن الدين الإسلامي يحث على ذلك، لأن هذا العمل يدل على اتباع سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالرسول يحث على التزاوج وإنجاب الأولاد؛ لأنه يفرح بذلك ويباهي ويفخر بهم الأمم .

وهذا الإنجاب المتواصل يدل على قوة الدولة ورصانة المجتمع الإسلامي، وقوة الإسلام، فأشار الشاعر إلى الحديث النبوي السابق إشارة من خلال صدر البيت، أكثر صبيان بيتي وقد تناص معه تناصاً مباشراً من حيث المعنى في الرغبة في الإنجاب وإكثار النسل .

وفي القصيدة الرصافية التي مدح فيها الشاعر علي بن الجهم الخليفة المتوكل وتحدث

فيها عن مكانة العباسيين وحبهم لهم فقال :

وَكُنْ يُقْبَلُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحُبِّكُمْ وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا طَهْرَ (٢)

(١) الإمام الحافظ عبدالرحمن الخرساني النسائي ، سنن النسائي ، شرح جلال الدين السيوطي ، ج ٦ ، ط ١ ،

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ ، رقم الحديث ٣٢٢٧ ، ص ٤٩

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٤٨

يتحدث الشاعر عن حبه للعباسيين وطاعته لهم خاصة الخليفة المتوكل الذي أنهى القول

بمحنة خلق القرآن الكريم (١).

وجعل الشاعر حب العباسيين وطاعة أمرهم والولاء لهم جزءا من الإيمان بل قال: إن الإيمان لا يكون صحيحا وكاملا إلا بحبهم والولاء والانقياد لهم، فتناص الشاعر تناصا مباشرا مع الحديث النبوي: " دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ " (٢) الذي يتحدث فيه عن وجوب الطهارة قبل الصلاة؛ لأن الطهارة شرط من شروط صحة الصلاة، فنلاحظ هنا تناصا مباشرا أعاد الشاعر في صياغة الحديث الشريف مستخدما أسلوب الاستفهام الاستنكاري متسائلا عن صحة الصلاة وقبولها عند الله عز وجل دون طهارة ، فمن خلال هذه الألفاظ لفت الشاعر نظر المتلقي إلى الحديث الشريف السابق الذي يتحدث فيه عن أهم شرط من شروط الصلاة وهو الطهارة ، وبذلك استطاع الشاعر من خلال هذا التناص أن يكثف المعنى في البيت ويدعمه ليوضح أهمية الولاء والطاعة للعباسيين عامة ، وللخليفة المتوكل خاصة ، بحيث جعل محبتهم شرطا لصحة الإيمان كما تكون الطهارة شرطا لصحة الصلاة وكل هذا مدح للخليفة المتوكل.

ويعزي علي بن الجهم أحد الأشخاص في موت أبيه فيقول :

فَمَا مَاتَ مَنْ كُنْتَ ابْنَهُ لَا وَلَا الَّذِي لَهُ مِثْلُ مَا سَدَى (٣) أَبُوكَ وَمَا سَعَى (٤)

(١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ ،
حوادث وفيات ٢٤١هـ - ٢٥٠هـ ، ص ١٩٧ وانظر : جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦
(٢) صحيح مسلم ، ج ٢ ، حديث رقم ٢٢٤ ، ص ١٠٠
(٣) سدي : أحسن
(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٥٣

يعزي علي بن الجهم هذا الرجل بوفاة أبيه فيذكره بأن والده لم ينقطع عمله من الدنيا

لأنه ترك ابنا صالحا له وهنا يتناص الشاعر مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ

صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " (١) يتحدث الحديث عن الأعمال التي تعتبر صدقات جارية من حسنات

للمرء بعد موته ،ومنها الولد الصالح الذي حسنت تربيته وبر بوالديه من خلال كثرة الدعاء لهما

بعد الموت وحسن أخلاقه بين الناس ،ليذكر أبوه من خلالها ،فيبقى هذا الوالد وذكره في الدنيا

من خلال أخلاق ولده التي زرعا هو فيه ،فمعنى البيت يشير إلى الحديث النبوي الشريف من

خلال ذكر الولد الصالح ، فهذا المعنى يرجع ذاكرة المتلقي إلى هذا الحديث الشريف من خلال

هذا التناص عزى الشاعر هذا الرجل ومدحه وذكره بحقوق والديه المطلوبة منه بعد موتهما

وهي الدعاء الكثير لهم .

وتحدث الشاعر عن بعض القضايا الاجتماعية كقضية كنز الأموال والبخل فيقول:

يَسْرُ مَنْ عَاشَ مَالُهُ فَإِذَا حَاسِبُهُ اللَّهُ سِرَّةَ الْعَذَمِ (٢)

يقول الشاعر: إن الإنسان من طبيعته حب المال ومحاولة جمع المزيد منه ؛لأن النفس

الإنسانية جبلت على الطمع وهو بذلك يفرح فرحا شديدا ،ولكنه عندما يأتي يوم الحساب عن هذا

المال يتمنى لو أنه لا يملك درهما لأنه حساب عسير ،فتناص الشاعر مع قول الرسول صلى الله

عليه وسلم:

(١) صحيح مسلم ، ج ٦ ، حديث رقم ١٦٣١ ، ص ٨٨

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٩٤

" مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ " (١) الذي يتحدث عن طريقة العذاب التي يعذب الله بها كائز المال ،الذي لا يؤدي حقوق الله فيه، وهي إحماء قطع الذهب والفضة وكى جنبه وجبينه بها ، وكلما بردت أعيدت مرة أخرى.

فلاحظ أن الشاعر ذكر هنا نتيجة العقاب ،فبذلك أحال المتلقي إلى هذا الحديث الذي يوضح كيفية العذاب يوم القيامة ،وعقاب كائز المال،
ليثير المتلقي محاولا بذلك محاربة عادة كنز الأموال ،وعدم تأدية الحقوق الواجبة فيها ،فتأدية الحقوق تجعل من المجتمع قويا متألفا متعاوننا مترابطا ومحاربا للفقير .

قال الشاعر يمدح المتوكل في قصيدة إلى أن وصل إلى الحديث عن محمد بن عبد الملك الزيات ،الذي نكبه المتوكل وعذبه على ما فعله أثناء وزارته للمعتصم والواثق (٢) فقال:

وَتَحَكَّمَ الزِّيَاتُ فِي أُمُالِهَا وَدِمَائِهَا
زَارَ عَلَى سَنَنِ النَّبِ يَّ يَجْدُ فِي إِطْفَائِهَا (٣)

(١) صحيح مسلم ، ج ٤ ، حديث رقم ٩٨٧ ، ص ٧١

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٣٩

(٣)المرجع ، ذاته ، ص ٣٩

تحدث الشاعر عن المرحلة التي كان بها الزيات وزيرا للخليفة المعتصم والواثق، وما حدث فيها من (أحكام قلما كانت تلتقي ومضمون القرآن الكريم) (١)، وتحدث أيضا عن مشاركته في مسألة خلق القرآن الكريم، واضطهاد أهل السنة والتضييق عليهم، فتناص الشاعر هنا مع الحديث الشريف :

"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَحْيَا سُنَّةَ مَنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا" (٢) الذي يتحدث عن الأجر الذي يناله من يتبع سنة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- و نشر هذه السنة التي تكون قد نسيت أو غابت عن الذهن ،ومثل ذلك من يحاول ابتداع بدعه وما ينتظره من إثم وإثم من يعمل بها.

وتناص الشاعر تناصا مباشرا مع الحديث النبوي الشريف ،ولكن من خلال القياس على معنى الحديث ومضمونه، من أجر الذي يدافع عن السنة ، فنلاحظ أن الطرف الآخر هو المحارب للسنة والذي يحاول أن يبعد الناس عنها ،فإن له عقابا شديدا ؛لأنه خالف تعاليم الإسلام السمحة، فأراد الشاعر أن يعلل سبب الفرحة التي يعيشها من المال الذي وصل إليه ابن الزيات في حكم الخليفة ، بل يعتبر عمل الخليفة نصرا للدين وإحقاقا للحق ونودا عن السنة النبوية المشرفة ،حينما خلص المتوكل الإسلام من هذا الشر الكبير حسب نظر الشاعر علي بن الجهم.

أحال الشاعر المتلقي إلى الحديث الشريف السابق ليعال سبب نمة للزيات ومدحه للمتوكل ،فكان الأول محاربا للسنة وكان الثاني ناصرا ومعزا لها .

(١) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ص ١٠١

(٢) سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، المجلد ١ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ٤١

الفصل الثاني

التناص الأدبي

في شعر علي بن الجهم

المبحث الأول : التناسل مع الشعر الجاهلي والأموي والعباسي

الشعر ديوان العرب ،مقولة تدل على أن من يبحث عن الثقافة العربية القديمة يجدها في الشعر ، وهذا ما جعل الشعراء ينهلون من أبيات الشعر حسبما تقع عليها أعينهم ،وما تسمع بها آذانهم ،فكان جل اهتمامهم في حفظ الشعر وروايته ،وكان أول اهتمام لمن تظهر عليه الشاعرية وقول الشعر هو الاطلاع على نتاج الآخرين وحفظه ، لذا كان الشعر موردا غزيرا يحاول الشعراء المبتدئون والحافظون له العب منه ،لأن ذلك يصقل الموهبة ويطورها .

ونتيجة هذا الأمر كان لابد للشاعر عند قول الشعر ونظمه أن يتبادر إلى ذهنه شيء مما حفظه ، أو سمع به من الآخرين من الأشعار العربية ،وقد يكون هذا بوعي كامل يوظفه في قصيدته أو بغير وعي ،الأمر الذي جعله يستفيد من تجارب الآخرين .

وقد كان يعد ذلك في بعض الأحيان عيبا عند النقاد القدماء على الشاعر ،ولكننا عندما نعرفنا على هذا المصطلح الحديث وهو التناسل أصبح ذلك المنظور السلبي منظورا إيجابيا، يدل على ثقافة ذلك الشاعر وحسن اطلاعه على أعمال غيره من الشعراء .

والشاعر علي بن الجهم لم يغفل هذه النظرة إلى الشعر العربي الذي سبقه، بل اطلع عليه وحفظه،فظهر ذلك جليا في شعره ،من خلال التناسل الذي ورد في ديوانه مع أشعار بعض الذين سبقوه في مضمار الشعر ونظمه .

ونحن في الصفحات التالية نحاول عرض بعض الأمثلة التي تدل على تناسل الشاعر مع أقوال غيره من الشعراء التي وردت في ديوانه بوعي أو بدون وعي .

كان لشخصية الشاعر امرئ القيس وشعره تأثير كبير في الشعراء الذين جاءوا بعده
، وكل حاول الاستفادة من هذه التجربة الشعرية العظيمة. والشاعر علي بن الجهم استفاد من هذه
التجربة الشعرية من خلال التناصات الكثيرة المباشرة وغير المباشرة مع نصوص الشاعر
امرئ القيس، ومن ذلك ما ورد في القصيدة التي قالها في السجن:

أَلَمْتُ وَجَنُحُ اللَّيْلِ مُرَخٍ سُدُولُهُ وَلِلْسِجْنِ أَحْرَاسٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا (١)

وهنا تناص واضح ومباشر مع قول امرئ القيس:

وَكَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٢)

فنلاحظ أن كلا الشاعرين قد تألم من قدوم الليل المليء بالألم والأوجاع وتكالب الهموم
، فالشاعر علي بن الجهم يتحدث عن هم السجن الذي أودع به، نتيجة ما قام به الوشاة
والحاسدون ، وامرؤ القيس يشكو ويتألم من ألم الحب والجوى، ونلاحظ أن الشاعر علي بن الجهم
أورد بعض ألفاظ امرئ القيس (كالليل ومرخ و سدوله).

يتناص الشاعر هنا تناصا مباشرا مع بيت امرئ القيس من حيث الألفاظ والمعنى، فكلا
الشاعرين يعيشان في حالة نفسية متعبة، ووجدوا في الليل عنصرا جديدا من عناصر الألم
والحزن يزيد ههما. فتشابه الحالة النفسية عند الشاعرين جعلهما ينظران إلى الليل نظرة واحدة
، نظرة خوف وألم وحزن نتيجة قدومه، فعندما يلف جناح الظلام الدنيا تبدأ الشكوى والمرارة
والحسرة تتناوب الشاعرين اللذين يبحثان عن شيء واحد وهو نهاية الظلام وظهور الصباح،
عله بقدومه يجلب لهما السعادة والخلص من ههما .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٥٠

(٢) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٨

في قصيدة مدح قالها الشاعر علي بن الجهم في المعتصم ،وقد سار على نهج القدماء من مقدمة طللية غزلية قبل الدخول إلى المدح، فقد " استدعى الشعراء بعد العصر الجاهلي الأطلال واهتموا بها أيما اهتمام، وأصبح النص لا يعمل بمعزل عن المنظومة الكلية للجماعة الجاهلية مع تمتعه باستقلالية تخصه وتخص تجربة كتابته " (١) .

يقول ابن الجهم :

مَتَى عَطَلْتَ رَبَّكَ مِنَ الْخِيَامِ	سُقَيْتِ مَعَاهِدًا صَوَّبَ الْغَمَامِ
لَأَسْرَعَ مَا أَدَانَتْكَ اللَّيَالِي	وَأَخَلَّتْ عَنْكَ عَائِرَةَ السَّوَامِ
وَقَفْتُ بِهَا عَلَى حِلٍّ بِأَوَالِ	تُعْفِيهَا السَّوَافِي بِالْقَاتَمِ (٢)
فَقُلْتُ لِفَتْنَةٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ	كِرَامٍ وَالْهَوَى دَاءُ الْكِرَامِ
قَفُوا حَيَّوَا الدِّيَارَ فَإِنَّ حَقًّا	عَلَيْنَا أَنْ نُحْيِيَ بِالسَّلَامِ
حَرَامٌ أَنْ تَخْطَاها الْمَطَايَا	وَلَمْ نَذْرِ مِنْ الذَّمِّ السِّجَامِ (٣)

نلاحظ أن الشاعر هنا بدأ بمقدمة طللية عن الآثار الدارسة بمتذكرها ثم ينتقل إلى الحوار

مع مرافقيه ليحيوا الديار ؛لأن هذه التحية حق عليهم جميعا. ويعتبر تخطي هذه الديار

والأماكن والأطلال من غير البكاء والتواجد والحسرة عليها ضربا من ضروب الحرام.

ونلاحظ بعد هذه الوقفة وهذا الحوار يستسلم علي بن الجهم إلى البكاء كغيره من

الشعراء ،دلالة على الحزن والألم والتواجد على هذه الذكريات، كما هو حال امرئ القيس

(١) إبراهيم مصطفى الدهون ،التناص في شعر المعري، ط١، عالم الكتب الحديث،أريد ، ٢٠١١،ص ٦٦

(٢) حل: المجلس والمجتمع ، تعفيها: تمحوها ، السوافي : الريح ، القتام : الغبار الأسود

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٣-٤

فلاحظ أن الشاعر هنا تتاص تناصا مباشرا مع مقدمة امرئ القيس الطللية في معلقته التي

قال فيها :

قفا نَبَكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ	بَسِقَطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضِيحٍ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا	لِإِذَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنْوَبٍ وَشَمَالِ
تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا	وَقَبِيعَاتِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلَفُفْلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا	لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَتَّظَلِ
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ	يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وَإِنْ شِفَانِي عَبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ	فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ
كَذَابِكَ مِنْ أُمِّ الْخَوِيرِثِ قَبْلَهَا	وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً	عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي (١)

فالشاعر علي بن الجهم من خلال هذه المقدمة أحال المتلقي سريعا إلى المقدمة الطللية للقصائد السابقة عليه، وخاصة مقدمة امرئ القيس في معلقته، " فامرؤ القيس يطلب من صاحبيه الوقوف ثم البكاء على الديار البالية والآثار الدارسة تلك القابعة في : سقط اللوى والدخول وحومل أمكنة أثارت الأسى والمرارة في نفس الشاعر امرئ القيس، فقد خلت من أهلها وأصبحت بلاقع " (٢)

(١) ديوان امرئ القيس ، ص ٨

(٢) إبراهيم مصطفى الدهون ، التناص في شعر المعري ، ص ٤٠

ولما كان " المشيب طوراً من أطوار الحياة الإنسانية ،ينقل المرء من حالة إلى أخرى تغاير سابقتها ،مغايرة تكاد تكون جذرية في الخلقة والخلق، مما يحرك في النفوس أحاسيس شتى تجعل مواقف الشعراء تجاهه متباينة، فهم بين نافر منه كاره لرؤيته ذام له محاول إخفاءه بالخضاب والمقراض وسواهما ،وبين مرحب به مادح له معدد محاسنه يكد في البحث عنها عقله تسلية لنفسه عن مصابها، أو تجلدا و تجملا ،وبين هذين الاتجاهين تولدت صور رائعة هي انعكاسة لتلك الأحاسيس الإنسانية التي تلازم الإنسان أنى وجد " (١) .

يتحدث الشاعر علي بن الجهم عن المشيب فيقول :

لا يَرُعَكَ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ هَ فَالْمَشِيبُ هَيْبَةٌ وَوَقَارُ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكَتْ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ (٢)

ويقول الشاعر :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّيْبِ لَاحَ كَأَنَّه ثَلَاثًا حَبِيبٍ زَارَنَا مَتَّبِعًا

(١) عبد الرحمن محمد وهيبه ، الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، ج ١ ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ص ٦٩

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٣٩

هَلِ الشَّيْبُ إِلَّا حَلِيَّةٌ مُسْتَعَارَةٌ وَمُنْذَرُ جَيْشٍ جَاءَنَا مُتَقَدِّمًا
فَلَا وَأَبْيَكَ الْخَيْرِ مَا أَنْفَكَ سَاطِعٌ مِنَ الشَّيْبِ يَجْلُو مِنْ نُجَى اللَّيْلِ مُظْلِمًا (١)

يتحدث الشاعر عن الشيب ويعتبره هبة ووقارا لصاحبه، فهو يعتبر الشيب الأبيض مصدرا من مصادر العزة والأنفة، فوجود الشيب يدل على الرزانة ورجاحة العقل، ويرسم لنا الشاعر صورة جميلة من خلال تشبيهه في الرؤوس مثل الزهور التي تجمل الرياض، فلولا جمال هذه الزهور لما تمتعت هذه الحقائق بهذا الجمال، وكذلك الشيب الأبيض فهو نور يعطي الهامات جمالا، كما جاء في سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ وَقَالَ هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ" (٢).

تناص الشاعر هنا تناصا عكسيا واضحا مع أبي نواس عندما قال :

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارٍ كَسَوْنَكَ شَجَوًا هُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ
يَقُولُونَ فِي الشَّيْبِ الْوَقَارُ لِأَهْلِهِ وَشَيْبِي بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ وَقَارٍ (٣)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٩

(٢) سنن ابن ماجه ، المجلد الثاني ، ص ٣٠٤

(٣) ديوان أبو نواس ، تحقيق اسكندر آصاف ، دار العرب ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٦٨

يعد الشاعر أبو نواس الشيب الذي اشتعل في رأسه عارا عليه، فهو يتحدث عن الشيب من جهة أخرى لا علاقة لها بالوقار أو الهيبة، بل يتحدث عنه بكونه طاردا للعذارى ومنهيا سنوات الصبا، فعده مصيبة تقع على الفتى، كون أبي نواس شاعر لهو ومجون، وهذا يتطلب حسن المظهر الذي يعتمد على الشعر الأسود الدال على الشباب .

فلاحظ أن كلا الشاعرين قد تحدث عن الشيب من خلال نظرته الخاصة به، فالشاعر علي ابن الجهم شاعر ملتزم لذلك تحدث عن الشيب من منظور جمالي يتجمل به صاحبه ويعلي من شأنه، عكس نظرة الشاعر أبي نواس الذي نظر إليه على أنه زائر ثقيل الظل ينهي ما يعيش به الشاعر من لهو ومجون، يتطلب جمال المظهر الذي لا يكون من وجهة نظر الشاعر التي لا يكون الجمال بها إلا بمرحلة الشباب والتي يدل عليها الشعر الأسود الخالي من البياض " ، وهكذا يصبح الشيب تعبيراً عن مرحلة قلق من حياة الشاعر، وهي بطبيعة الحال مرحلة تتجاوز الذات لتشمل البشر على اختلاف مستوياتهم " (١).

فكلا الشاعرين تحدث عن نظرته الخاصة تجاه الشيب، فكانت وجهات النظر متضاربة متعكسة، تعكس نفسية الشاعر وروحه، فشاعرنا هنا يتمسك بمبادئه وأخلاقه الخاصة به التي تدل على عمق تجربته في الحياة واستخلاص أفكاره الذاتية التي لا يتبع فيها غيره، وعلى عمق إيمانه وتعلقه بالسنة النبوية .

في قصيدة غزلية يتحدث فيها الشاعر عن ألم الحب والجوى وتمنع المحبوبة فيقول :

الدَمْعُ يَمَحُو وَيَدِي تَكْتُبُ عَزَّ الْهَوَى وَامْتَنَعَ الْمَطْلَبُ

(١) ميساء عبيدات ، التناص في شعر مصطفى وهبي التل ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور عبدالباسط

أَمَّا وَعَيْنِي قَمَرٍ أَحْوَرٍ إِلَيْهِ مِنْ لَحْظَتِهِ الْمَهْرَبُ
 مَا أَغْمَضَتْ عَيْنِي وَلَا أَقْلَعَتْ دَمْعُهَا مَذْهُوٌّ لَا يُعْتَبُ
 مَا زِلْتُ أُسْتَرْضِيهِ مِنْ ذَنْبِهِ فَلَيْسَ يَرْضَى وَهُوَ الْمُذْنِبُ (١)

يصور لنا الشاعر الحالة النفسية التي وصل إليها نتيجة حبه، ويتحدث عن حاله فاليوم تحاول كتابة رسائل الهوى وأشعاره ووصف حالته ولكن الدموع السواكب من عينيه سرعان ما تمحو هذه الكتابة، دلالة على الحزن الذي وصل إليه الشاعر من حبه لهذه المحبوبة التي تتمتع عليه، أو حتى لا تشاطره الحب، فهو يحاول التقرب منها دوماً والعمل على ردم الهوة بينهما والحث على التواصل، حتى إنه يغفر كل خطاياها ونوبها، بل يعتذر لها ويسترضيها، ولكن ذلك لا ينفع معها، فنلاحظ هذه الحالة النفسية السيئة التي وصل الشاعر إليها نتيجة هذا الحب. لقد استدعى الشاعر علي بن الجهم هنا نصاً غائباً وتناص معه تناصاً مباشراً وهو نص الشاعر العباس بن الأحنف عندما قال :

أَزَيْنَ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ أَجِيْبِي دُعَاءَ مَشُوقٍ بِالْعِرَاقِ غَرِيبِ
 كَتَبْتُ كِتَابِي مَا أَقِيمُ حُرُوفَهُ لَشِدَّةِ إِعْوَالِي وَطُولِ نَحْيِي
 أَخْطُ وَأَمْحُو مَا خَطَطْتُ بِعَبْرَةٍ تَسْحُ عَلَى الْقُرْطَاسِ سَحٌّ غُرُوبِ
 أَيَا فَوْزُ لَوْ أَبْصَرْتَنِي مَا عَرَفْتَنِي لَطُولِ نَحْوِي بَعْدَكُمْ وَشُحُوبِي (٢)

التي يتحدث الشاعر فيها عن حبه لفوز والحالة النفسية والجسدية التي وصل إليها، نتيجة هذا

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ١٠٨

(٢) العباس بن الأحنف، ديوان، شرح عائكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٦

الحب والشاعر هنا يتحدث بالتفصيل عن حالته ،وهو يكتب رسائل شوقه وأشعار حبه فتحدث عن كتابه الذي لم يستطع أن يصف حروفه وأن يخرجها كما ينبغي، من شدة حزنه ولوعة فراقه حتى وصل إلى المظهر الأبرز الذي يدل على الحزن وهو كثرة الدموع، فالعباس من شدة حزنه وكثرة دموعه التي سقطت على القرطاس مسحت ما كتب، ويبدو أن سبب الحزن هنا هو الفراق والبعد والجوى وليس التمتع كما كان عند شاعرنا علي بن الجهم .

تناص الشاعر هنا في التعبير عن الحالة النفسية التي وصل إليها، والتي لا يعبر عنها إلا بكثرة الدموع، ليتناص مع تعبير الشاعر العباس بن الأحنف عن كثرة الدموع التي مسحت ما كتب، كذلك الشاعر علي بن الجهم تحدث عن كثرة الدموع بنفس الصورة التي عرضها الشاعر العباس بن الأحنف، فأعاد الشاعر رسم نفس الصورة مع فارق السبب في انهماك هذه الدموع من شاعر لآخر، فكلاهما وصل إلى حالة نفسية صعبة لا يجد إلا الدموع تعبيراً عنها.

" كان علي بن الجهم يعاشر جماعةً من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقايئون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل " (١) فقال فيه علي بن الجهم:

مَنَازِلُ لَوْ أَنَّ إِمْرَأَ الْقَيْسِ حَلَّهَا	لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
إِذَا لَرَأَيْتِي أَمْنَحُ الْوُدَّ شَادِنًا	مُشَمَّرَ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُرْسِلِ
إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ	" عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا إِمْرَأَ الْقَيْسِ فَاتَزَلِ " (٢)

(١) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن، ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ، كتاب الأغاني ، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، ج ١٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢١٩

(٢) ديوان علي بن الجهم، ص ٥٥-٥٦

يتحدث الشاعر علي بن الجهم عن بغداد وخاصة باب الكرخ ،ويصفه بأجمل الصفات بل ويعتبره من أجمل أماكن الدنيا ،ويدعو لها بالسقيا لما فيه من جمال طبيعة ،وأماكن لهو، وجمال فتيات، وحتى الصفات الجميلة لمن يسكن فيه ،والذي يتمتع بالكرم الواسع الذي يعذل به حتى يصل إلى قمة المدح ليقول :إن الشاعر الكبير امرأ القيس لو عرف هذه المنازل لما تحدث عن الدخول و حومل ،وهذا تتناص مع قول الشاعر امرئ القيس :

قَفَا نَبْكَ مِنْ نِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (١)

وهذا البيت مطلع معلقة امرئ القيس الشهيرة، الذي يطلب فيه من رفاقه الوقوف على أطلال المحبوبة بين الدخول وحومل والتواجد والبكاء عليها.

فتناص الشاعر هنا مع امرئ القيس من خلال ذكره الصريح لامرئ القيس والمنازل التي ذكرها في معلقته ،وهذه إحالة واضحة لا لبس فيها، فمن خلال هذا التناص أراد الشاعر أن يظهر مدى أهمية باب الكرخ وجماله ويخلد ذكره على مر العصور، من خلال الرابط المباشر بينه وبين الدخول وحومل. فهذه أماكن ذكرها خالد لا أحد ينكرها بل الكل يعرفها حق المعرفة، فهذا الرابط بين باب الكرخ ومعلقة امرئ القيس يبقي ذكر باب الكرخ موجودا ومتداولاً وخالداً بين الناس.

تحدث الشاعر كغيره من الشعراء عن ألم الجوى والفراق حيث قال :

أَتَرَى الزَّمَانَ يَسْرُئاً بِتَلَاقٍ وَيَضُمُّ مُشْتَقاً إِلَى مُشْتَقٍ
وَيَقِرُّ عَيْناً طَالَمَا سَخِنَتْ قَلَمٌ تَمْلِكُ سَوَابِقَ دَمْعِهَا الْمُهْرَاقِ
نُوبُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَأَشَدُّهَا شَمْلٌ تَحْكَمُ فِيهِ يَوْمَ فِرَاقِ

يا قَلْبُ لِمَ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْهَوَى أَوْ مَا رَأَيْتَ مَصَارِعَ الْعُشَاقِ (١)

يتساءل الشاعر في قصيدته ويقول: يا ترى هل يسمح الزمان في يوم من الأيام أن يجتمع المحبون بعضهم مع البعض بعدما فرق بينهم بما ترى هل يكون ذلك في يوم من الأيام ليفرح الشاعر بهذا التلاقي، وتجف دموعه الكثيرة التي بكأها من شدة الحزن والحسرة من فراق الأحبة، ويقول الشاعر إن هذا الفراق هو من أشد مصائب الزمان وأصعبها وانكبتها على الإطلاق، وفي النهاية وبعد هذا الحديث عن الألم وشكوى الفراق يلوم الشاعر قلبه على هذا الطريق الذي سار به وهو طريق الحب، ويقول له: لماذا لم تتعلم وتأخذ العبرة من غيرك وأنست ترى كثرة الصرعى من الحب وبلواه، ويتناص الشاعر في هذه المقطوعة مع قول الشاعر بشار بن برد عندما قال :

عَبْدَ إِنِّي إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ	لِتَلَقَ وَكَيْفَ لِي بِالتَّلَاقِ
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنِي	كَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ
وَأَهَابُ الْحَرَسِيِّ مُحْتَسِبَ الْجُنِّ	دِ يَلْفُ الْبَرِيِّءِ بِالْفُسْطَاقِ
فَاصْبِرِي مِثْلَمَا صَبَرْتُ فَإِنَّ الصَّ	بَرَ حَظٌّ مِنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ (٢)

التي يتحدث عن البعد والفراق، والآلام والأوجاع والمآسي، التي تصيب المحب نتيجة لهذا البعد والتجافي .

و تناص الشاعر أيضا مع قول الشاعر أبي تمام عندما قال :

لَكَ عِلْمٌ بِعَبْرَتِي وَاشْتِيَاقِي	وَالَّذِي بِي مِنْ لَوْعَةٍ وَإِحْتِرَاقِ
وَلَكَ الظَّرْفُ وَالْمَلَاخَةُ وَالْحُسْ	نُ وَطَيْبُ الْأُرْدَانِ وَالْأَخْلَاقِ
وَقَبِيحٌ بِأَنْ تُعَرِّضَ جِسْمِي	مَا أَرَى مِنْ مَصَارِعِ الْعُشَاقِ

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ١٥٦

(٢) ديوان بشار بن برد ، تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر ن عاشور ، ضبطه وصححه محمد شوقي أمين ، ج ١، لجنة التأليف

والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١١٧

فَعَلَامَ الصَّدُودِ فِي غَيْرِ جُرْمٍ وَالصَّدُودُ الْفِرَاقُ قَبْلَ الْفِرَاقِ (١)

وهنا الشاعر يتحدث أيضا عن ألم الجوى، وشكوى الفراق، وكثرة الصدود من المحبوب. فنلاحظ أن شعر الحب لا بد أن يتحدث عن ألم الجوى والفراق والبعد، ولكن الشعراء كل طرق هذا الموضوع من وجهة نظره والمسبب في هذا الفراق، فعلي بن الجهم رد السبب إلى تقلب الزمان ودوران الأيام، فمن كان قريبا أصبح بعيدا. والشاعر أبو تمام رد السبب إلى تعامل المحبوبة معه، فكثرة صدها له جعله يشعر بألم الفراق والحزن والألم. والشاعر بشار بن برد يرد سبب الفراق والبعد إلى الخوف من العقاب مستقبلا إذا أشيع خبر حبه بين الناس. نلاحظ أن شعر الحب العربي لا يخلو أبدا من الحديث عن الفراق والبعد ولوعة الصدود، وكل شاعر يصوغ هذا الموضوع ويشكله حسب مقدار لوعته وحزنه وحسب السبب الذي أوجده، فما كان من النص اللاحق إلا أن يتأثر بالنص السابق، لأن هذا الأمر لا يستطيع أحد أن ينسلخ عنه إذا كان محبا .

وفي مقطوعة يتحدث فيها الشاعر عن الفراق والحزن والحسرة والألم والتذكر والحنين إلى المعشوقة، وما يحدث له نتيجة هذا التذكر، ومن الأسباب التي تزيد وتشعل حنينه وشوقه صوت هديل الحمام، فهذه الحمامة تمثل له سببا مباشرا لإيقاظ أحزانه وهمومه وحنينه حيث قال :

وَمُشْتَرَكِ الْفُؤَادِ لَهُ أَتَيْنُ يُوْرَقُهُ التَّنْكَرُ وَالْحَنِينُ
تُمْنِيهِ الزِّيَارَةَ بَعْدَ لَأَيٍ وَقَدْ مُطِرَتْ بِأَلْمَعِهِ الْجُفُونُ

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٢ ، ج٤ ، دار المعارف ، القاهرة

إِذَا سَجَعَتْ مُطَوَّقَةٌ عَرَاهُ تَبَارِيحٌ يَلْقَاهُ الْمَتُونُ (١)

تناص الشاعر هنا مع قصائد كثيرة في الشعر العربي كقول الشاعرة الخنساء :

أَبْكِي لِصَخْرٍ إِذَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ حَمَامَةٌ شَجَوْهَا وَرَقَاءُ بِالْوَادِي (٢)

فهذه الخنساء أيضا تشتعل نيران ذكرياتها وحزنها على فراق أخيها صخر، نتيجة لسماع صوت

هذه المطوقة ، وللشاعرة أبيات أخرى تتحدث عن هذا الأمر فتقول:

تَذَكَّرْتُ صَخْرًا إِذْ تَغَتَّ حَمَامَةٌ هَتَفَ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْأَيْكِ تَسْجَعُ

فَظَلْتُ لَهَا أَبْكِي بِدَمْعِ حَزِينَةٍ وَقَلْبِي مِمَّا ذَكَّرْتَنِي مُوجَّعُ (٣)

وقولها:

وَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ وَمَا أَضَاعَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي (٤)

ومن الأبيات أيضا قول الشاعر مجنون ليلى :

أَيَا لَيْلَ زَنْدِ الْبَيْنِ يَقْدَحُ فِي صَدْرِي وَتَارُ الْأَسَى تَرْمِي فُؤَادِي بِالْجَمْرِ

أَبَى حَدَثَانُ الدَّهْرِ إِلَّا تَشْتَتَا وَأَيُّ هَوًى يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الدَّهْرِ

فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّابَا وَمَا نَاحَتْ الْأَطْيَارُ فِي وَضَحِ الْفَجْرِ

وَمَا نَطَقَتْ بِاللَّيْلِ سَارِيَةُ الْقَطَا وَمَا صَدَحَتْ فِي الصُّبْحِ غَادِيَةُ الْكُدرِ

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَا بَكَتْ مُطَوَّقَةٌ شَجَوْاً عَلَى فَنَنِ السَّيْدْرِ (٥)

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ١٨٣

(٢) ديوان الخنساء، تحقيق إبراهيم عوضين ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٣١١

(٣) للمصدر نفسه ، ص ٢٤٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٥

(٥) ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر الفجالة ، القاهرة ، ص ١١٦-١١٧

وهذا أيضا يتحدث عن الفراق والحنين وأسباب اشتعال الشوق عنده، الذي يرده إلى مجموعة من الأسباب ومنها صوت تلك الحمامة الحزينة على أغصان أشجار السدر.

ومن الشعراء أيضا قول ابن الدمينية :

يَهِيْجُ عَلَيَّ الشَّوْقُ صَوْتَ حَمَامَةٍ مُطَوَّقَةٌ يُرْدِي الْمُحِبَّ نَنِيْمَهَا (١)

فهذا الشاعر أيضا كان صوت الحمامة سببا في إثارة أشعاره وأحزانه، نتيجة الفراق الذي يشكو منه المحبون جميعا .

ومنه أيضا قول ابن الرومي:

طَرِبْتُ وَلَمْ تَطْرُبْ عَلَيَّ حِينَ مَطْرُبٍ وَكَيْفَ التَّصَابِي بِأَبْنِ سَتِينٍ أَشِيبِ
وَمَا حْدَاكَ الشَّوْقُ نَوْحُ حَمَامَةٍ أَرَنْتَ عَلَيَّ خُوطٍ مِنَ الْبَانِ أَهْدِبِ
مُطَوَّقَةٌ تَبْكِي وَلَمْ أَرْ قَبْلَهَا ————— بَدَا مَا بَدَا مِنْ شَجْوِهَا لَمْ تَسْلُبْ (٢)

وابن الرومي يتحدث عن الحزن الذي ينتابه نتيجة سماع صوت هذه الحمامة الذي يثيره ويثير أشجانه .

فلاحظ أن الشاعر علي بن الجهم تناص هنا تناصا مباشرا مع الكثير من قصائد الشعر العربي، فالحمامة حسب أسطورتها المشهورة أنها طائر حزين حزنا دائما على فراق الهديل، ذلك الفرخ

(١) ديوان ابن الدمينية ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد حبيب ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، دار العروبة ، القاهرة ،

(٢) ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، ط ٢ ، ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ،

الصغير فكان صوتها دائما يدل على الحزن والألم، فاستخدم الشعراء العرب هذه الأسطورة في قصائدهم دليلا على الحزن والألم الدائم المستمر نتيجة الفراق، وأصبح صوت الحمامة في أشعار العرب سببا من أسباب استثارة الحزن والألم، فاستخدم الشعراء هذه الأسطورة دائما للتعبير عن الحزن والحسرة الدائمة، وغالبا ما يكون من الفراق والهجر. وهذا التناص إن دل على شيء فإنما يدل على ثقافة الشاعر وحسن اطلاعه.

وقال الشاعر يصف علة الحب وأدوية الطبيب، وقيل إن القصيدة قيلت بمناسبة خاصة " و هي قول علي بن الجهم دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريتة بشيء أغضبه، فرماها بمخدة فأصابته عيناها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها؛ فخرج المتوكل وقد حم من الغم والغضب. فلما بصر بي دعاني وإذا الفتح يري بختيشوع القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا علي في علتى هذه شيئا، وصف أن الطبيب ليس يدري ما بي؛ " (١) فقلت :

تَنَكَّرَ حَالَ عِلَّتِي الطَّبِيبُ	وَقَالَ أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيبُ
جَسَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِّي	عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَبَرٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بِكَ هَاتِ قُلْ لِي	فَكَانَ جَوَابُهُ مِنِّي النَّحِيبُ
وَقُلْتُ أَيَا طَبِيبُ الْهَجْرُ دَائِي	وَقَلْبِي يَا طَبِيبُ هُوَ الْكَئِيبُ
فَحَرَّكَ رَأْسَهُ عَجَبًا لِقَوْلِي	وَقَالَ الْخُبُّ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

فَأَعَجَبَنِي الَّذِي قَدْ قَالَ جِدًّا وَقُلْتُ بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبِيبُ
فَقَالَ هُوَ الشِّفَاءُ فَلَا تُقَصِّرْ فَقُلْتُ أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُجَسِبُ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي لِشَجْوِي فَاتِي هَاتِمَ فَرْدَ غَرِيبُ(١)

تحدث الشاعر عن علة لا يستطيع الطبيب أن يكتشفها أو أن يداويها وهي علة الحب واللوعة، وأقام الشاعر حواراً بين الطبيب وهذا المريض كما يحدث عادة، فسأله الطبيب أخبرني مما تشكو فأني أرى أعراضاً كثيرة تدل على أنه مريض خطي، فكان جواب هذا العاشق هو البكاء الشديد، وبعدها أخبره بالأمر أنه مريض الهوى والهجر وهو طريق الفراش نتيجة اللوعة التي يعيشها من فراق المحبوب، فعرف الطبيب هذه العلة وقال إن هذا المرض لا يملك له دواء، فرد عليه صريع الهوى وقال بل الدواء هو قرب الحبيب، عندها طلب الطبيب منه أن يعجل في البحث عن هذا الدواء؛ لأنها علة صعبة فرد عليه إن هذا الأمر مربوط بقبول الحبيب.

تناص الشاعر هنا مع أبيات كثيرة في الشعر العربي التي تتحدث عن عجز الطبيب عن معالجة هذا المرض الشائع بين المحبين، ومن ذلك قول الشاعر عنتره العبسي :

وَنَصِيبِي مِنَ الْحَبِيبِ بَعْدَ وَكَغَيْرِي الدُّنُو مِنْهُ نَصِيبُ
كُلُّ يَوْمٍ يُبْرِي السُّقَامَ مُحِبُّ مِنْ حَبِيبٍ وَمَا لِسُقَمِي طَبِيبُ(٢)

فهذا عنتره يتحدث أيضاً عن هذه العلة التي لا يجد لها طبيباً، ويؤكد أن الطبيب هو قرب الحبيب وكذلك قول الشاعر عروة بن حزام :

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ١٠٧

(٢) شرح ديوان عنتره ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥-١٩٩٢ ، ص ١٠٠

أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بِعَفْرَاءَ عَنَدْنَا عَدِمْتُكَ مِنْ وَاشٍ أَلَسْتَ تَرَانِي
 أَلَسْتَ تَرَى لِلْحُبِّ كَيْفَ تَخَلَّلْتُ عَنَاجِيضُهُ جَسْمِي وَكَيْفَ بَرَانِي
 نَوَّ أَنْ طَبِيبَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دَاوِيَا الَّذِي بَيَّ مِنْ عَفْرَاءَ مَا شَفَيْتَانِي (١)

فعروة تحدث أيضا عن هذا المرض العجيب الذي لا يملك أي طبيب له دواء ،وزاد على ذلك أنه قال حتى أطباء الجن لا يستطيعون علاجه رغم ما يزعم عن عالم الجن .
 ومثل ذلك أيضا قول الشاعر مجنون ليلى :

أَلَا يَا طَبِيبَ الْجِنِّ وَيْحَكَ دَاوِنِي فَإِنَّ طَبِيبَ الْإِنْسِ أَعْيَاهُ دَائِيَا
 أَتَيْتُ طَبِيبَ الْإِنْسِ شَيْخًا مُدَاوِيَا بِمَكَّةَ يُعْطِي فِي الدَّوَاءِ الْأَمَانِيَا
 فَقُلْتُ لَهُ يَا عَمَّ حُكْمَكَ فَاحْتَكِم إِذَا مَا كَشَفْتَ الْيَوْمَ يَا عَمَّ مَا بِيَا
 فَخَاضَ شَرَابًا بَارِدًا فِي زُجَاجَةٍ وَطَرَحَ فِيهِ سَكْوَةً وَسَقَقَانِيَا
 فَقُلْتُ وَمَرَضَى النَّاسِ يَسْعَوْنَ حَوْلَهُ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْكَ مُدَاوِيَا
 فَقَالَ شِفَاءُ الْحُبِّ أَنْ تُلْصِقَ الْحَشَا بِأَحْشَاءٍ مَنْ تَهْوَى إِذَا كُنْتَ خَالِيَا (٢)

وهذا يجري حوارا بينه وبين طبيب من عالم الجن، ويتحدث عن قدرة طبيب الإنس المحدودة الذي لا يعرف إلا الأدوية المستحضرة من الأعشاب، فعرف طبيب الجن أن داء هذا المريض هو الحب وأن لا دواء له إلا قرب الحبيب فطلب منه التعجيل به.

(١) ديوان عروة بن حزام ، تحقيق انطوان محسن القوال ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٤٣

(٢) ديوان مجنون ليلى ، ص ٢٣٧

فلاحظ نظرة الشعراء الموحدة لعلة الحب وأعراضها ، فالجميع مجمعون على أن هذا المرض لا يستطيع الأطباء وصف دواء له ، وكل يقرر أن أسباب هذا المرض هو البعد والفراق واللوعة ، وأن دواءه هو القرب من الحبيب ، وهذا هو شاعرنا يحمل نفس النظرة السابقة لهذا المرض وطيبه ودوائه.

قال الشاعر علي بن الجهم يستعطف المتوكل من سجنه ويمدحه في آن واحد حيث يقول :

وَيَغْذُوكَ بِالنِّعَمِ السَّابِغَاتِ	وكليداً وذا مِيعَةٍ أَمْرَدَا
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالْأَسْذَى	تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
فَلَمَّا كَمَلْتَ لِمِيقَاتِهِ	وَقَلَّدَكَ الْأَمْرَ إِذْ قَلَّدَا
قَضَى أَنْ تُرَى سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ	وَأَنْ لَا يُرَى غَيْرُكَ السَّيِّدَا
وَأَعْلَاكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ	تَنَالُ لَجَاوَزَتْهَا مُصْعِدَا (١)

استعطف الشاعر في هذه القصيدة الخليفة المتوكل، ليخرجه من ظلمات السجن الذي زجه به نتيجة كلام الوشاة والحاسدين ، فحاول استرضاءه واستمالة قلبه في القصيدة ، وقد مدحه مدحا تطرب له الأذان حيث تحدث عن نباهته منذ نعومة أظافره وظهور الذكاء عليه، وقدره الله سبحانه وتعالى عندما قدر له أن يكون هو سيد المسلمين وخليفتهم ، فكنت الأذكى، وكنت الأقوى ، وكنت الأتقى، وكنت الأعلى، وكنت الأسما ، وكنت أفضل من دافع عن الدين وأعلى رايته، فقد كنت متميزا في كل شيء.

وقد استدعى الشاعر علي بن الجهم هنا نصا غائبا مختلفا عنه بالغرض وتتأصل معه

تتأصلا مباشرا وهو قول الخنساء :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا	أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ	أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَادِ	سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
إِذَا الْقَوْمُ مَتَوْا بِأَيْدِيهِمْ	إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُصْعِدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَلَيْهِمْ	وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى الْمَجْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ	يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ أَلْفَيْتَهُ	تَأْزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى (١)

وهي ترثي أخاها صخرا الذي جعلت منه رجلا متميزا برجاحة العقل منذ الطفولة عندما كان أمردا، وكان شجاعا قويا قادرا على تحمل المسؤولية مهما عظمت وعجز عنها الآخرون، ومن عظمة أفعاله أصبح المجد يبحث عنه ليرتبط باسمه، دلالة على حسن سمعته وسيرته بين قومه. التتأصل هنا تتأصل مباشر واضح بين قصيدة علي بن الجهم وقصيدة الخنساء ومع اختلاف الغرض بينهما فكلاهما اعتر برجاحة عقل الممدوح والمرثي، والقدرة على تحمل المسؤولية والنباهة والذكاء الذي ظهر عليهما منذ نعومة أظفارهما، حتى أن عليا استخدم كثيرا من ألفاظ النص الغائب التي تحيل مباشرة إلى قصيدة الخنساء هذه، فالمضمون في كلا القصيدتين واحد وهو المدح، ولكن نص الخنساء مدح وذكر مناقب الميت وهذا الغرض يسمى الرثاء .

المبحث الثاني : التناص مع الفثر الأمثال

يقال **مِثْلٌ وَمِثْلٌ** وشبهه وشبهه بمعنى واحد ، **والمِثْلُ الحديثُ** نفسه ، **والمِثْلُ الشيء الذي** يُضربُ لشيءٍ مثلاً فيجعل مِثْلَهُ ، **المِثْلُ مأخوذ من المِثَال والحِذْوِ والصفة تحليلة ونعتٌ** ويقال **تمثّل فلانٌ ضرب مثلاً وتمثّل بالشيء ضربه مثلاً (١)**.

المِثْلُ : المِثْلُ جملة من القول مقتطعة من الكلام أو مرسلّة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير (٢).

" **المِثْلُ لون أدبي معبر طريف المنحى عظيم الفائدة، يلخص تجربة إنسانية تترد على ألسنة الناس ،وقد مكن ذبوعه وانتشاره من احتلال موقع جليل في نفس قائله وسامعه، وصار له مكان الصدارة من حيث الأهمية والتأثير بين سائر فنون القول (٣)** .
وقد عرف الحسن اليوسي المِثْل بقوله: " **إن المِثْل هو قول يرد أولاً لسبب خاص ثم يتعداه إلى أشباهه، فيستعمل فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالموارد الأول (٤)** .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مِثْل)

(٢) المعجم الوسيط ، مادة (مِثْل) ، ص ٨٥٤

(٣) وائل عبدالله مفلح ، توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، إشراف

الدكتور ماجد جعفر ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤٤

(٤) الحسن اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، تحقيق ، محمد حجي و محمد الأخضر ، ج ١ ، ط ١ ،

دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨١ ، ص ٢١

"ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوها في أقوالها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها " (١).

"وقد اهتم العلماء والأدباء بالأمثال ،وعدوها فنا أدبيا وراثا إنسانيا مستقلا، فهي تعد معينا ومصدرا من مصادر التراث الأدبي ينهل منه الشعراء يرددونه ويغنون عقولهم منه، لما له من خصائص فنية يمتاز بها عن الكلام العادي، فهو قول بليغ موجز يعبر عن حادثة ويقال في حادثة مشابهة يسهل حفظه وتنقله من جيل إلى جيل يكثر في مجال الحكم " (٢).

وقد وظف الشاعر علي بن الجهم الأمثال في شعره واستمد منها كثيرا من معانيه، وقد تناص في شعره مع بعض الأمثال ليخدم معانيه ويقوي حججه أمام خصومه، فورد هذا المصدر الثري من مصادر التراث العربي في شعر الشاعر في مواضع متعددة، ونحن نحاول هنا أن نظهر التناص مع الأمثال العربية في الصفحات القادمة.

(١) أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل وعبد المجيد قطامش ، ج ١ ، ط ٢ ، دار الجبل بيروت ، ص ٤
(٢) إبراهيم عقله جوخان ، التناص في شعر المتنبي، ص ٢١٢-٢١٣

في قصيدة مدح قالها الشاعر علي بن الجهم في المتوكل وتحدث فيها عن أفعاله وصفاته، وفي نهاية القصيدة يتحدث الشاعر عن خلق يجب على الجميع الابتعاد عنه وهو كثرة اللوم ومعاينة الأصدقاء، لأن هذا العمل يبعد الأصدقاء عنك ويجعلهم يتركوك حيث قال :

وَمَنْ نَافَسَ الْإِخْوَانَ قَلَّ صَدِيقُهُ وَمَنْ لَامَ صَبَّأً فِي الْهَوَى كَانَ الْوَمَا (١)

وقد اتكأ الشاعر على المثل العربي " تناس مساوئ الأخوان يدم لك ودُّهم " (٢) ولكن الشاعر جاء بهذا المثل منقيا ومقلوبا، حيث تحدث عن الجانب المغاير لهذا العمل فقال من لم يترك أخطاء الآخرين يقل أصدقاؤه ونحن نعرف أن الشيء يعرف بضده فنلاحظ أن البيت جاء بنفس معنى المثل ولكن مقلوبا .

تناص الشاعر علي بن الجهم هنا مع المثل السابق بصفته نصيحة يقدمها الشاعر إلى الممدوح، وقد جاء هذا التناص مع هذا المثل بسبب كثرة الواشين به عند الخليفة والذين يظهرون أخطائه عند للمتوكل، فحاول الشاعر أن يستبق الأحداث من خلال أبيات القصيدة، وهذا ما حدث فعلا فبعدما كان الشاعر علي بن الجهم نديما للخليفة المتوكل غضب عليه وأودعه ظلمات السجن ونفاه، كل هذا بسبب الوشاة والحاسدين.

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٠

(٢) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج ١ ،

ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٢٥٥

وانظر : قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال ، ، ط ١ ، دار الشمال ، طرابلس ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٦

في قصيدة تشيع فيها الحكمة اتكأ الشاعر فيها على مجموعة من الأمثال تتحدث عن
الطباع كقول المثل " إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ " (١) " أَظْلَمُ مِنْ ذَنْبٍ " (٢) و " تَنْتَقِلُ الْجِبَالُ
وَلَا تَنْتَقِلُ الطَّبَاعُ " (٣) حيث قال :

ما الجودُ عن كثرةِ الأموالِ والنَّشَبِ ولا البلاغةُ في الإكثارِ والخطبِ
ولا الشجاعةُ عن جسمٍ ولا جَلَدٍ ولا الإمارةُ إرثٌ عن أبٍ قَلَبِ
لكنَّها همَّ أدَّتْ إلى رَفْعٍ وكلُّ ذلكَ طَبَعٌ غيرُ مكتسبٍ (٤)

تحدث الشاعر عن مجموعة أخلاق وآداب وصفات كالجود والبلاغة في الخطاب والشجاعة
والإقدام ، وقال : إن هذه الأمور هي طباع طبع عليها الشخص ولا علاقة لها بغيرها، كما يحاول
البعض التحجج بذلك، فمنهم من يحتج أن الجود يحتاج إلى مال ، والبلاغة إلى إكثار من الخطب،
والشجاعة إلى جسم قوي وكبير، فيرد الشاعر عليهم بهذا المثل الشائع أن هذه الخصال هي
طباع ينشأ عليها الإنسان حتى لا يحتج الطرف الآخر . إن هذا رأي شخصي يخص الشاعر،
ولكن استدعاء هذا المثل في هذا النص خير دليل على كلام الشاعر، والذي لا يستطيع أحد أن
يرد عليه لأن الكل يجمع على صحة هذا المثل .

تناص الشاعر علي بن الجهم مع المثل السابق برهان ودليل على صحة أقواله

(١) الحسن اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، ج ١ ، ص ١٤٨

(٢) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣١٢ وانظر قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال ، ص ٤١٧

(٣) الحسن اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، ج ١ ، ص ١٤٨

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ١١٠

وقوتها ، " وكأنه يريد أن المظاهر الاجتماعية المكتسبة لا تمنح صاحبها قيمة أو مكانة عالية ، وإنما القيمة الاجتماعية المعتبرة رهينة عمل الإنسان وإرادته " (١) ، فأراد الشاعر من ذلك أن يرد على الطرف الثاني قبل سماع رأيهم بهذا الموضوع وقبل النطق به ، فاستدعى هذا النص الغائب وطوره وأعاد تنسيقه حتى يناسب الوزن والقافية في هذه القصيدة .

يمدح الشاعر علي بن الجهم المتوكل ويشبهه بالكلب في الوفاء ويشبهه بالتيس في التحدي

ومقارعة الخطوب حيث قال الشاعر :

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلْوَدِّ دِ وَكَالتَّيْسِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ (٢)

وقد استدعى الشاعر هنا مثليين من التراث العربي يدل كل منهما على السبب الذي جعل الشاعر يشبه المتوكل بهذه الحيوانات، فقد اتكأ في صدر البيت على المثل العربي القائل (أَلْفُ مِنْ كَلْبٍ) (٣) وهذا المثل يدل على أن الكلب يتمتع بوفاء لا نظير له، فهو وفي لصاحبه في كل الأحوال لا يخونه ولا يؤذيه مهما بدر من صاحبه ، وهذا يدل على شيوع هذه الصفة للكلب في المجتمع العربي ؛ فلذلك تتأصل الشاعر مع هذا المثل واعتمد عليه ليمدح الشاعر علي بن الجهم الخليفة المتوكل بالوفاء ، وقد وجد الشاعر في هذا المثل خير سبيل لمدح المتوكل بالوفاء وحفظ الود .

وفي عجز البيت اتكأ الشاعر علي بن الجهم على المثل العربي القائل (عِذَّ النَّطَّاحِ يُغَلِّبُ التَّيْسَ

(١) عبدالسلام الراغب ، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، ص ١٢٢

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١١٧

(٣) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ١٥٠ وانظر : قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال ، ص ٣٠

وانظر : أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٢٠٢

الأجم (١) وهذا المثل يدل على قدرة النيس في النطاح والصبر عليه والغلبة فيه وهذا المثل يضرب للذي يكون نافذ الرأي وقادرا على تحمل المسؤولية ومجابهة المصائب والأخطار والخطوب . وقد وصف الشاعر علي بن الجهم المتوكل بالنيس متكئا على هذا المثل المعروف في المجتمع العربي .

نلاحظ أن الشاعر لم يشعر بالحرج عندما وصف المتوكل وشبهه بهذه الحيوانات فهذه الحيوانات تعرف بهذه الصفات داخل المجتمع.

فتتاص الشاعر هنا مع هذه الأمثال ليمدح المتوكل بصفات عظيمة كالوفاء و تحمل الصبر على المسؤولية ، وكان ذلك من خلال إحالة السامع إلى هذه الأمثال العربية المشهورة ، وهذا يدل على سعة اطلاع الشاعر علي بن الجهم على التراث العربي وحياة الصحراء التي أثرت به، فما كان منه إلا أن وظف هذه المشاهدات البيئية الصحراوية في أشعاره.

وقال الشاعر في هدية قدمها للمتوكل وحاول تقديم العذر سلفا لها ولقيمتها فأتى الشاعر

على المثل العربي " جَنَّبِي بِهِ مِنْ حَسَكْ وَبَسَكْ " (٢) ، والمثل يضرب في استفاد الوسع في

(١) الميداني ، مجمع الأمثال، ج ٢ ، ص ٣٣٦ ، الأجم : الذي لا قرون له

وانظر : قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال، ص ٤٥٨

(٢) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٣٠٤

وانظر قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال، ص ١٥٦

الطلب حتى يعذر فقال الشاعر :

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِإِحْتِيَالِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَنِي وَبَسِي
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئاً نَفِيساً يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي (١)

يتحدث الشاعر عن هدية قدمها للمتوكل، ويقول: إنه حاول كل جهده في البحث عن هدية تليق بالمتوكل فلم يجد، واعتمد على المثل العربي السابق في ذلك، لأن هذا المثل كما قلنا يضرب في استنفاد كل الجهد والمحاولات في عمل الشيء وقبول هذا العذر من باذل هذا الجهد سلفاً دون أن يعتذر، فورود هذا المثل في هذا البيت يدل على طلب المعذرة سلفاً عن هذه الهدية التي يعرف صاحبها كل المعرفة أنها لا تليق بالخليفة المتوكل، ولكن هذه هي مقدرة المجتهد الذي حاول البحث طويلاً عن هدية تليق بالمتوكل، لكنه لم يجد، فتعذر بهذا المثل أولاً، ثم تعذر بأنه يقدم نفسه هدية للخليفة المتوكل دلالة على حبه وطاعته ووفائه للخليفة، وكل هذا يدل على منزلة الخليفة المتوكل في قلب الشاعر علي بن الجهم.

فتناص الشاعر مع المثل السابق حتى يقلل الكلام والشرح وطول الاعتذار، وحتى يجميل القول ويبتعد عن الاسترسال، فكان تضمين هذا المثل في بيته يعتبر أفضل اعتذار يقدمه للخليفة المتوكل فلذلك جاء الشاعر بهذا المثل واعتمد عليه .

وفي قصيدة من قصائد الحبس التي قالها الشاعر في أول أيام حبسه يتحدث فيها عن

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٥٠

محنته ومصابه والحال الذي آل إليه ووصف أعدائه الذين وشوا به عند المتوكل حتى غضب عليه وحبسه، فبسبب هذه المصيبة التي حلت به كان لابد له أن يتحدث عن الدهر والزمان وتقلباته بين السرور والحزن، فأتى الشاعر للحديث عن هذا الأمر على المثل العربي "حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَةً" (١) الذي يضرب في الشخص المتمرس في الحياة والذي ذاق مر الحياة وحلوها، فهو مثل يدل على أن هذا الشخص يمتلك خبرة كبيرة وعظيمة للتعامل مع حوادث الدهر التي يعرفها جيدا، وشاعرنا أراد نفس هذا المعنى فقال :

حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَةً وَمَرَّتْ بِنَا عَقَبُ الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ (٢)

"فالشاعر هنا أراد أن يصور لنا خلاصة رؤيته للحياة، وأن الإنسان قد يتقلب في صروفها وأحوالها، فينق حلاوتها ومرارتها فكأن التضاد كامن في طبيعتها كالرخاء والشدة" (٣)

تناص الشاعر تناصا مباشرا مع المثل السابق من حيث المعنى والألفاظ، فشاعرنا أراد أن يتحدث عن خبرته في التعامل مع صروف الدهر؛ لأنه يعتبر نفسه ذا خبرة كبيرة في هذا المجال، وأنه يعرف تقلبات الدهر جيدا فالدهر يوممان: يوم لك ويوم عليك.

والشاعر من خلال هذا المثل يؤمل النفس بالخروج من هذه المحنة الكبيرة، وأن الدهر كما أحزنه سوف يفرحه في يوم من الأيام، متحديا بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "لَا عَذْوَى، وَلَا طَيْرَةَ وَأَحِبُّ النَّفَالِ الصَّالِحِ" (٤).

فتناص الشاعر هنا مع المثل العربي "حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَةً" (٥) ليظهر العزة والأثفة والإباء والكبرياء الشامخ لحساده، ويظهر سعة حكمته وقدرته على التعامل مع هذه المحن.

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٤٧ وانظر قصي الحسين، معجم مجمع الأمثال، ص ١٩٨

(٢) ديوان علي بن الجهم، ص ٨٢

(٣) عبدالسلام الراغب، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم، ص ١٢١

(٤) صحيح مسلم، المجلد ٧، ج ١٤، ص ٢٣١

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٤٧ وانظر قصي الحسين، معجم مجمع الأمثال، ص ١٩٨

وفي حديث الشاعر عن أحمد بن أبي دؤاد وأعماله ضمن الشاعر حديثه المثل العربي "

كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ" (١) ، والذي يضرب في الحث على فعل الخير (٢) حيث قال الشاعر :

فَزَرَعْتَ شَوْكًا عِنْدَهُ فَحَصَدَتْهُ وَكَذَا لَعَمْرِي كُلُّ زَرَعٍ يُحْصَدُ (٣)

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن الأعمال والأموال التي قام بها أحمد بن أبي دؤاد من محاربة لأهل السنة والجماعة والتكيل بهم وينكره بذلك، وقد أكد الشاعر كلامه من خلال الاتكاء على المثل العربي المشهور " كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ" (٤) ، وقد وجد الشاعر علي بن الجهم هذا المثل هو خير دليل على ما حدث لأحمد بن أبي دؤاد من محن ومصائب في خلافة المتوكل، والقالج الذي أصابه، فالشاعر يرد ذلك كله إلى أعماله السيئة، فكانت نتيجة ذلك هو ما حدث له لأنه هو من زرعه بيده .

فتناص الشاعر مع المثل العربي السابق ليثبت لأحمد بن أبي دؤاد صحة أقواله عنه، وأن

هذا نتيجة أفعالك ، فلا تتعجب من هذه النهاية المأساوية التي ألمت بك، لأنك أنت جهزت لها وزرعت لها .

وفي نفس البيت تناص أشاري مع المثل العربي " إِنَّكَ لَنْ تَجْنِيَ مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبَ " (٥) ، من

(١) الميداني ، مجمع الأمثال، ج ٣ ، ص ٥٩ وانظر : قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال ، ص ٥٧٠

(٢) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٥٩

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٨٨

(٤) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٥٩

(٥) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ١ ص ٨٦ وانظر قصي الحسين ، معجم مجمع الأمثال، ص ٥٥

خلال ورود كلمة شوك وحصدته في البيت السابق . وهذا دليل آخر على صحة كلام الشاعر علي بن الجهم على أنك سوف تجني محصولا من نفس نوع البذر الذي بذرتة، فمن بذر قمحا حصد قمحا، ومن زرع عنباً جنى عنباً، ومن ظلم وأساء للآخرين نهايته نهاية سيئة كحال أحمد بن أبي دؤاد.

فالشاعر من خلال هذه الأمثال يشمت بأحمد بن أبي دؤاد ويذكره بماضيه، عل غيره يتعظ منه ولا يسير على دربه، لأن أحمد بن أبي دؤاد أصبح مثالا على نهاية الظالم المتجبر المسيء للآخرين.

الفصل الثالث

التناسخ التاريخي

في شعر علي بن الجهم

المبحث الأول : التناص مع الأحداث التاريخية

"يمتد الزمن عبر التاريخ وتتعاقب الأجيال على هذه البسيطة، فتتشأ الصراعات الإنسانية، وتتحسر مهما كانت دوافعها، فكل أمة تاريخ، ولكل شعب بقعة مكانية يحيا عليها كارها أو راغبا، أما الصراعات فتتمو داخل النفس الإنسانية وخارجها، والشاعر فرد من جماعة يعيش تلك الصراعات، ثم تنشأ في نفسه طاقة مكبوتة يسعى إلى تفرغها، فتمر أثناء ذلك في مخيلته صور مختلفة، لتلتقي كل صورة بمثيلتها، وتتدخل تلك الصور وتتصهر لتتشكل من جديد في قالبها اللغوي محملة بأبعاد واقعية ونفسية وخيالية، فيتحد الماضي بالحاضر، والقريب بالبعيد، والواقعي بالمخيّل، فيهيمن التاريخ على بعض تلك الصور، ومن هنا ينشأ التناص التاريخي بمختلف تفاصيله " (١) .

لا يستطيع الإنسان أن ينسلخ عن التاريخ مهما حاول، ذلك لأن التاريخ هو أحد المكونات الرئيسية لثقافة الإنسان، فنلاحظ أن كل إنسان يستمد من مخزونه التاريخي ما يناسب المقام الذي هو فيه، وشاعرنا كذلك فقد عمد إلى التاريخ ينهل منه ويستعيد أحداثه ويوظفها في شعره، لخدم الموقف الذي يتحدث عنه، ويدعم به قوله بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وقد كانت أبرز الأحداث التي تناص معها الشاعر في قصائده أحداثا تاريخية إسلامية، بسبب المحنة التي ألمت بالمسلمين، وهي محنة خلق القرآن الكريم، التي أثارها أصحاب الكلام، وتبناها كل من الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق، ودفنت على يد الخليفة المتوكل.

فظهر في قصائد الشاعر كثير من التناصات مع الأحداث التاريخية، ونحن هنا نحاول أن نتتبّع بعض هذه التناصات من خلال هذا المبحث.

(١) ابتسام أبو شرار، التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، رسالة ماجستير جامعة الخليل،

يمدح الشاعر العباسيين ويفخر بحكمهم، ويقول: إنهم أفضل أسوة وقدوة للآخرين، لأنهم من بيت شريف، ونسب عريق، وسادة كابرا عن كابر، وخير دليل على سيادتهم هو استحضار الشاعر للعمل الذي كانت تتولاه قريش عند البيت الحرام، وهو سقاية الحجيج الذين يقدمون إلى مكة المكرمة (١)، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " كل مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدمي إلا سقاية الحاج وسدانة البيت " (٢) حيث قال الشاعر :

لَنَا فِي بَنِي الْعَبَّاسِ أَكْرَمُ أُسْوَةٍ فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ طُرّاً وَأَفْضَلُ
أَلَيْسَتْ لَهُمْ عِنْدَ الْمَقَامِ سِقَايَةٌ مُكْرَمَةٌ تَرَوِي الْحَجَّاجَ وَتَفْضُلُ (٣)

فتناص الشاعر هنا مع هذا الحدث التاريخي ليبرهن من خلاله على عظمة بني العباس وسيادتهم للجميع منذ زمن بعيد .

فمن خلال هذا البيت حاول الشاعر أن يحيل المتلقي إلى هذا العمل الذي كانت تقوم به قريش ،والذي يدل على عظمة شأنها بين القبائل العربية، وخاصة بني هاشم الذين كانوا هم أصحاب هذه السقاية (٤).

فالشاعر بهذه الإحالة واستحضار هذه الأحداث التاريخية استطاع أن يمدح العباسيين بالنسب الشريف، والمكانة العالية، وزعامة الجميع، فبذلك يقول: إنهم زعماء القبائل العربية في الجاهلية، وهم الآن أعلى منزلة، لأنهم عشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا الأمر

(١) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ...٢١٣هـ، السيرة النبوية ، تحقيق جمال ثابت وآخرون ، ج١، ط١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص ١٢٤-١٢٥

(٢) سنن ابن ماجه ، مجلد ٢، ص ٩٥

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٠

(٤) محمد بن يوسف الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، ج ١ ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٦٩-٢٧٣

وانظر : ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٨٤

زادهم برهاناً على أنهم أصحاب السيادة وأصحاب الخلافة (١).

ويستفيد الشاعر من التاريخ مرة أخرى من خلال توظيف تاريخ حروب الردة (٢) ، في إحدى قصائده مادحا المتوكل على حزمه وقضائه على فتنة خلق القرآن الكريم، حيث قال :

الرِّدَّةُ الْأُولَى ثَمَى أَهْلِهَا حَزَمُ أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَكْفُرُوا
وَهَذِهِ أَنْتَ تَلَاَفَيْتَهَا فَعَادَ مَا قَدْ كَادَ لَا يُذَكَّرُ (٣)

حيث استحضر الشاعر هنا في قصيدته حدثاً تاريخياً مهماً، وهو ردة بعض العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، زمن خلافة أبي بكر ، والطريقة التي عالج بها أبو بكر هذه الردة ، من خلال إعلان الجهاد عليهم وقوله المشهور: " والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على منعها " (٤).

(١) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج ١ ، ص ٢٦٩-٢٧٣

(٢) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٨٧

وانظر : أبو زيد الشبلبي ، الخلفاء الراشدون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٣ ص ٤١-٦٠ وانظر : عبد الوهاب

النجار ، الخلفاء الراشدون ، تحقيق خليل الميس ، دار القلم بيروت ، ص....

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٦

(٤) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٨٧ فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه

الصلاة والسلام : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم

ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله " فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق

المال وقد قال : " إلا بحقها " قال عمر : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله يشرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه

الحق أخرجه الشيخان وغيرهما . "

فلاحظ أن الشاعر هنا تناص تناصا مباشرا وواضحا مع هذا الحدث التاريخي من خلال ذكره الردة (١) ، " وحزم أبي بكر رضي الله عنه في محاربتهم وإخضاعهم " (٢).

وشاعرنا استحضر هذا الحدث التاريخي تذكيرا للمتوكل من قبيل أن الذكرى تنفع المؤمنين بطريقة التعامل مع الأحداث التي تريد زرع الفتنة بين المسلمين، وهدم البنيان المرصوص ، وكل هذا الحديث مدح للمتوكل الذي كان حازما في القضاء على الفتنة التي أثارها أهل الكلام، وهي خلق القرآن الكريم (٣).

فالشاعر يمدح المتوكل من خلال مقارنة عمله في رد الفتنة وأدائها وإنهاء المسألة بحزم كما فعل أبو بكر، الذي أعلن الحرب على المرتدين من أجل القضاء على هذه الفتنة (٤) ، " قبل أن يتسع الرقع على الراقع " (٥).

فكما خلد التاريخ حزم أبي بكر في القضاء على المرتدين ،خلد التاريخ حزم المتوكل في القضاء على فتنة خلق القرآن الكريم ،ونصر السنة ورد البدع (٦) ، " حتى قال قائلهم :

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٨٧

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٦

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات ٢٤١هـ - ٢٥٠هـ، ص ١٩٧ وانظر : جلال الدين السيوطي،

تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦

(٤) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٨٧

(٥) أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ١٦٠

(٦) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات ٢٤١هـ - ٢٥٠هـ، ص ١٩٧ وانظر : جلال الدين السيوطي،

تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦

الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة ، وعمر بن عبدالعزيز في رد المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم " (١) .

يمدح الشاعر علي بن الجهم للمتوكل في هذه القصيدة " ولعل هذه القصيدة من أول ما قال فيه من الشعر، لما فيها من شرح سيرة المتوكل لما استخلف " (٢) ويمدحه برواية شيء من كلامه ، عندما كان يتحدث عن طريقة حكمه وسلوكه في سياسة الرعية ونهج الحكم، ومن خلال رواية هذا الكلام يحيل الشاعر المتلقي إلى حدث مهم من أحداث سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خطبته في حجة الوداع وما قاله للمسلمين (٣) حيث قال :

وَقَالَ وَالْأَلْسُنُ مَقْبُوضَةٌ لِيُبْلِغَ الْغَائِبَ مَنْ يَحْضُرُ
أَنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا أَشْرِكَ بِاللَّهِ وَلَا أَكْفُرُ
لَا أَدْعِي الْقُدْرَةَ مِنْ دُونِهِ بِاللَّهِ حَوْلِي وَبِهِ أَقْدِرُ
أَشْكُرُهُ إِنْ كُنْتُ فِي نِعْمَةٍ مِنْهُ وَإِنْ أَذْنَبْتُ أَسْتَغْفِرُ
فَلَيْسَ تَوْفِيقِي إِلَّا بِهِ يَعْلَمُ مَا أَخْفَى وَمَا أَظْهَرَ
فَهُوَ الَّذِي قَلَّدَنِي أَمْرَهُ إِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُرْ فَمَنْ يَشْكُرُ (٤)

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧١

(٣) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٨٧

وانظر : ابن كثير ، حجة الوداع ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، ط ١ دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨٦ ، م ، ص ١٧٣-١٧٦

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٤

ومن خلال استخدام الشاعر لتعبير ليبلغ الغائب من يحضر ،الذي يحيلنا مباشرة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " فليبلغ الحاضر الغائب " (١) ، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على ذلك من أجل نشر هذه الخطبة وما جاء بها من أحكام تهم المسلمين، واستخدم الشاعر هذا أيضا ليدلل على أهمية الحديث الذي يرويه من كلام المتوكل، وهو نهج المتوكل في الحكم .

فتناص الشاعر هنا تناسبا غير مباشر مع نص خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) ، من خلال استخدامه لتعبير ليبلغ الغائب من يحضر، دلالة على أهمية الحديث المروي والمنقول.

تعرض الشاعر كثيرا لفتنة كادت أن تعصف بالمسلمين والإسلام ألا وهي مسألة خلق القرآن الكريم ،التي أثارها أصحاب الكلام وعلى رأسهم أحمد بن أبي دؤاد، والتي تصدى لها الإمام الجليل أحمد بن حنبل ،وقد استمرت هذه الفتنة قرابة ستة عشر عاما زمن المأمون (٣)، والمعتصم (٤) ،والوائق (٥) ، والمتوكل (٦)، ولكن الخليفة المتوكل عندما تسلم الخلافة اسكت هذه الفتنة وأطفأها وقطع دابرها، ونهى الناس عن الحديث والخوض فيها، بعدما كانت الدولة

(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٨٨ وانظر : ابن كثير ، حجة الوداع ، ص ١٧٤

(٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ وانظر : ابن كثير ، حجة الوداع ، ص ١٧٣-١٧٦

(٣) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٦-٣٦٧

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٣-٣٩٥

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٠٠-٤٠١

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٠٦

هي من تساند قول خلق القرآن (١) " ، فأمر بإلغاء هذا التبني هي وهدد بإنزال العقاب
بمن يتحدث في هذه المسألة ، وفك المسجونين هي وأكرم المتضررين ، وبذلك انتهت المحنة إلى
غير رجعة " (٢) ، فانتصر المتوكل لأصحاب السنة وعلى رأسهم أحمد بن حنبل ، ونحن
نعرف أن شاعرنا هو من أتباع السنة الشريفة ومن مؤيدي كلام أحمد بن حنبل ، ولذلك ما انفك
الشاعر يمدح المتوكل على قيامه بهذا العمل ومما قاله فيه :

كَانَتْ غِيَاهِبُ فِتْنَةٍ وَالنَّاسُ فِي عَمِيَانِهَا
مُتَحِيرِينَ كَمَا تَحَا رُ الْبَهْمُ بَعْدَ رِعَائِهَا
بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَضَا عَ الْحَقُّ فِي ظَلَمَائِهَا
وَإِخْتَارَ رَبُّكَ جَعْفَرَ ب نَ مُحَمَّدٍ لِجَلَالِهَا (٣)

وقال أيضا :

فِي فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ لَا نَارُهَا تَخْبُو وَلَا مَوْقِدُهَا يَفْتَرُ
الرِّدَّةُ الْأُولَى نَسَى أَهْلَهَا حَزَمُ أَبِي بَكْرٍ وَكَمْ يَكْفُرُوا
وَهَذِهِ أَنْتَ تَلَاغَيْتَهَا فَعَادَ مَا قَدْ كَادَ لَا يُذَكَّرُ (٤)

وشاعرنا هنا لا ينفك يذكر هذه المحنة التي دفع الكثيرون من العلماء حياتهم لها " كأحمد بن

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ١١ ، ص ٢٥١

وانظر : عبد العزيز البدري ، الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ص ١٨٠

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٠

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧٦

نصر (١) والبويطي صاحب الشافعي (٢) ونعيم بن حماد (٣).

فشاعرنا يستدعي دائما هذا الحدث التاريخي الذي عصف بالامة، وكاد أن يقسمها ليمدح
ال خليفة المتوكل المخلص الأول والأخير للمسلمين من هذه الفتنة العمياء .

وفي القصيدة الرصافية يمدح الشاعر علي بن الجهم المتوكل ويصفه بصفات عديدة حتى
يصل إلى البيت القائل :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِيَبْذُلَهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ (٤)

يمدح الشاعر في هذا البيت المتوكل ،ويقول: إن جمع أمواله لا يكون إلا ليصرفها في
التوسيع على المسلمين، وسد حاجتهم ،وحصرها في ذلك من خلال ربطها بالهدي الذي ينبج في
عيد الأضحى، فنلاحظ أن هذا الهدى لا يكون إلا للذبح في عيد الأضحى، وذلك ضمن شروط
محددة بالشكل والوقت (٥).

استدعى الشاعر هنا في هذا البيت هذا الحدث الديني المتكرر سنويا، وهو عيد الأضحى
وما يتعلق به من شروط دقيقة وواضحة للجميع .

تناص الشاعر هنا تناصا مباشرا مع هذا الحدث الديني، ليمدح المتوكل ويثبت للجميع أنه خليفة

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٠

وانظر :ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ١١ ، ص ٢٥١

(٢) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٥

(٣) عبد العزيز البدري ، الإسلام بين العطاء والحكام ، ص ١٧٧

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٤٧

(٥)النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، روضة الطالبين ، تحقيق عادل عبدالموجود و علي
محمد عوض ، ج ٢ ، طبعة خاصة ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ٢٠٠٣م، ٤٦٢-٤٩٥

موجود لخدمة الرعية، وأن أمواله التي يجمعها ليصرفها في خدمة الرعية، وضمن شروط الصرف الإسلامي.

يمدح الشاعر علي بن الجهم الخليفة المعتصم، ويستخدم لهذا المدح أبرز حدث من أحداث تاريخ المعتصم، وهو حدث ما أن يذكر المعتصم حتى يذكر معه وهو فتح عمورية (١).

استخدم الشاعر النصر الذي حققه المعتصم في عمورية وسيلة لمدح الخليفة، فتوثيق الانتصارات شعرا من أفضل أنواع المدح عند أصحابها، فقال الشاعر :

وَعَمُورِيَّةً ابْتَدَرْتَ إِلَيْهَا بَوَادِرُ مِنْ عَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ
فَقَعَقَعْتَ السَّرَايَا جَانِبَيْهَا وَأَلْحَقْتَ الْفَوَارِسُ بِالسِّهَامِ
رَأَتْ عِلْمَ الْخِلَافَةِ فِي نُرَاهَا فَخَرَّتْ بَيْنَ أَصْدَاءٍ وَهَامِ (٢)

يستحضر الشاعر هنا عظمة النصر وكيفية الوصول إليه، وبعض مشاهد الحرب مادحا الخليفة .

تناص الشاعر هنا تناصا مباشرا مع هذا الحدث التاريخي الكبير، ومستفيدا من قصة هذا الفتح وأسبابه (٣) وخاصة السبب الرئيس وهو صياح المرأة المسالمة

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد ٦ ، ص ٤٨٠

وانظر : جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٥

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٠

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد ٦ ، ص ٤٠

وامعتصماه (١) ، وتلبية المعتصم لندائها الذي يدل على الغيرة الكبيرة على أعراض المسلمين في كل بقاع الأرض، فاستفاد الشاعر من هذا الحدث وضمّنه في بيته، مادحا المعتصم ومذكرا المتلقي بهذا الفتح العظيم ،الذي يدل على اهتمام الخليفة بكل شؤون الرعية مهما كبرت أو صغرت، ومهما بعدت المسافات أو قرّبت .

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، المجلد ٦ ، ص ٤٠

المبحث الثاني : التناص مع الشخصيات التاريخية

من المصادر المهمة التي يحاول الشعراء من خلالها توضيح تجاربهم الشعرية وأفكارهم، هو الاستفادة من استدعاء بعض الشخصيات التاريخية في نصوصهم، ويكون هذا الاستدعاء خادماً لفكرة معينة، يحاول الشاعر من خلال هذه الشخصية تأكيدها أو تعزيزها، وتكون هذه الشخصية بمثابة السلم الذي يحاول الشاعر بها الوصول إلى فكرته التي يريد بها.

"طبيعي أن الشاعر حين يوظف شخصية تراثية فإنه لا يوظف من ملامحها إلا ما يتلاءم وطبيعة التجربة التي يريد التعبير عنها من خلال هذه الشخصية، وهو يؤول هذه الملامح التأويل الذي يلائم هذه التجربة " (١) .

" يتخذ الشاعر من الشخصية التي يستدعيها واحداً من مواقف ثلاثة : إما أن يتحد بها ويتخذ منها قناعاً يبت من خلاله أفكاره، وخواطره، وآراءه، مستخدماً ضمير المتكلم، وإما أن يقيمها بإزائه ويحاورها متحدثاً إليها ومستخدماً صيغة الماضي، وإما أن يتحدث عنها مستخدماً صيغة ضمير الغائب " (٢) .

وشاعرنا كغيره من الشعراء استفاد من الشخصيات التاريخية في قصائده، ووظفها لخدم أفكاره ومبادئه، وكانت أبرز الشخصيات التي وظفها الشاعر شخصيات دينية، بسبب الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك في مسألة خلق القرآن الكريم.

ونحن نعرف أن الشاعر كان سنياً من مؤيدي أحمد بن حنبل، فلذلك برزت الشخصيات الدينية واضحة في شعره.

(١) علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة

، ١٩٩٧ ، ص ١٩٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٩

مدح الشاعر علي بن الجهم المتوكل في هذه القصيدة ووصفه بصفات كثيرة ، " فقد عرض الشاعر لجانبين اثنين في المتوكل يتعلق أحدهما بصفاته الجسدية، التي تبدو في اكتمال الخلق، واعتدال الجسم، وجمال القامة، ووضاءة الوجه، وكحل العينين ،ويتصل الثاني بمواهبه الذاتية، التي تتمثل في رجاحة الفكر، وسداد الرأي، وامتلاك ناصية البيان على أعواد المنابر، فاستمع إليه وهو يعرض عليك صورة واقية لما يتمتع به المتوكل من كمالات خلقية " (١) ، حيث قال :

يُضِيءُ لِبَصَارِ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ صَبَاحٌ تَجَلَّى يَزْحَمُ اللَّيْلَ مُقْبِلُ
تَأْمَلُ تَرَى لِلَّهِ فِيهِ بَدَائِعاً مِنْ الْحُسْنِ لَا تَخْفَى وَلَا تَتَبَدَّلُ
فَنَضْرَةٌ وَجْهِ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وَطَرْفٌ وَإِنْ لَمْ يَأْلَفِ الْكُحْلَ أَكْحَلُ
وَمُعْتَصِمُ الْخَلْقِ لِلْسَيْفِ وَالْقَنَا عَلَيْهِ بَهَاءٌ حِينَ يَبْدُو وَيُقْبَلُ (٢)

ويستدعي الشاعر من خلالها شخصية المعتصم بالله والد المتوكل، ويمدح هذه الشخصية من خلال تشبيه المتوكل بصفات والده المعتصم بالله، الذي يتمتع بالأخلاق الحسنة والحميدة ،وبالتعامل مع الرعية ،وهو فاتح عمورية بعدما صاحت تلك المرأة المسلمة واستغاثت به(٣)، فهو يمتلك الأخلاق والتعامل الحسن مع الرعية ،ويمتلك الشجاعة والقوة والبأس في التعامل مع العدو.

فالشاعر استدعى هنا هذه الشخصية مذكرا المتوكل بسيرة أبيه، عله يسير على نهجها، ويتتبع

خطاها، عملا بقوله تعالى: ﴿وَتَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

(١) عبد الرحمن باشا ،علي بن الجهم ، ص ١١١-١١٢

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٦٥

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ٥٧-٧١

وانظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٥

(٤) القرآن الكريم ، سورة الذاريات ، الآية ٥٥

فالشاعر من خلال هذا التناص مدح المعتصم ومدح المتوكل ، لأن المتوكل يعلم

المنزلة التي حظي بها والده عند المسلمين ،فهو فرح جدا بهذا الوصف الذي يتمناه دوما.

فالشاعر من خلال استدعاء شخصية المعتصم في هذه القصيدة استطاع أن يوصل رأي

الرعية بحكم المتوكل إلى الخليفة نفسه، من خلال ورود هذه الشخصية هنا فخير الكلام ما قل

وبل، فشخصية المعتصم اختصرت على الشاعر كثيرا من القول والشرح حول طبيعة حكم

المتوكل لو أراد الحديث عنه، فقد اختصر الكثير من خلال استدعاء هذه الشخصية .

وفي هذه القصيدة قال الشاعر علي بن الجهم:

إِذَا مَا رَأَى رَأْيًا تَيَقَّنَتْ أَنَّهُ بِرَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ يُقَاسُ وَيُعَدَّلُ (١)

ففي هذا البيت الذي استدعى الشاعر شخصية عبدالله بن عباس بن عبد المطلب جد

الخلفاء العباسيين، فقد استدعى الشاعر هذه الشخصية في هذه القصيدة ليمدح الخلفاء العباسيين

على نسبهم الشريف ،الذي ينتهي إلى بني هاشم من جهة و إلى عظمة شخصية ابن عباس الذي

كان يلقب بحبر الأمة من جهة أخرى (٢).

ومن خلال استدعاء هذه الشخصية يحيلنا الشاعر إلى تاريخ هذه الشخصية التي كان

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - " إذا جاءت الأقضية المعضلة قال لابن عباس:

" أنها قد طرت علينا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها . ثم يأخذ بقوله، وما كان يدعو لذلك

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٦٤

(٢) ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، ٥٥٥-٦٣٠هـ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ،

تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون، مجلد ٣ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م، ص ٢٩٠

أحدًا سواه. قال عبيد الله: " وعمر عمر " . يعني في حذقه واجتهاده لله وللمسلمين" (١) .

فنستخلص من خلال هذه القصة المكانة التي كان يتمتع بها ابن عباس بين المسلمين، والذي اشتهر بالحكمة والعقل وسداد الرأي والمعرفة الواسعة (٢) ، فربط الشاعر شخصية المتوكل بشخصية ابن عباس ، ليمدح علي بن الجهم المتوكل بالحكمة، والعقل وسداد الرأي ، هذا لا يعيب المتوكل ، فالمدح هنا جاء من ناحيتين : الأولى من ناحية شرف النسب الذي ينتهي إليه المتوكل ، والناحية الأخرى القدرة على تحمل المسؤولية ، وحل المشكلات وقيادة الأمة.

فتناص الشاعر هنا مع هذه الشخصية العظيمة واستدعاها في هذه القصيدة ليختصر على نفسه الكلام الطويل عن الصفات التي يتمتع بها المتوكل، فربط شخصية المتوكل بشخصية ابن عباس واختصر الكلام الكثير، لأن كثيرين هم الذين يعلمون ويعرفون شخصية ابن عباس ويجلونها ويحترمونها .

يصف الشاعر قصر المتوكل المعروف بالقصر الهاروني في قصيدة يتحدث فيها عن جماليات هذا القصر، ودقة بنائه، وحسن منظره ، ويتحدث عنه حديثاً مطولاً حتى يصل إلى قوله في القصيدة :

لَوْ أَنَّ سَلِيمَانَ أَدَّتْ لَهُ شَيَاطِينُهُ بَعْضَ أَخْبَارِهَا

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مجلد ٣ ، ص ٢٩٠

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨

وقد ذكر ابن الأثير قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فيه حيث قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، ونائل، وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أنقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً " قط " سألته غلا وجد عنده علماً.

لَا يَفْقَنَ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ يَفْضُلُهَا عَظَمَ أخطارِهَا (١)

حيث استدعى الشاعر هنا شخصية سيدنا سليمان عليه السلام محاولا الشاعر إحالة المتلقي إلى قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع بلقيس ، والقصر الذي بنته جند سليمان لها ، وقدرة الشياطين على عمل الأشياء والقصة مشهورة (٢).

فتناص الشاعر هنا مع شخصية سيدنا سليمان عليه السلام ليتذكر المتلقي قصة سيدنا سليمان مع بلقيس، والقصر الذي بناه لها ، وكذلك أن الشياطين جاؤوا بخبر بلقيس لسيدنا سليمان، والمكانة التي كانت تتمتع بها عند قومها ، فيقول: لو كان بنو هاشم في ذلك العصر لأخبرت الشياطين سيدنا سليمان عن بني هاشم ومكانتهم العظيمة ونسبهم الشريف.

فالشاعر في استدعاء هذه الشخصية قد مدح المتوكل من ناحيتين : الأولى جمال القصر مذكرا بقصر بلقيس ، وكذلك بخبر بلقيس الذي يدل على عظمة شأنها ، وخبر بني هاشم الذي يدل على مكانتهم وحسن أعمالهم وهم أجداد المتوكل .

يمدح الشاعر المتوكل بعدما آل الأمر إليه من أخيه الواثق، ويتحدث عن أعماله ويوضح عظمة الأعمال والقرارات التي قام بها، ومنها حبس عمر بن فرج الرخجي، الذي وكله الواثق بالتجسس على المتوكل (٣) ، فالشاعر أراد أن يصف أخلاق الرخجي الدنيئة والخبيثة فقال :

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٣١

(٢) تفسير ابن كثير ، ط١، ج ٣ ، ص ٥٢٩-٥٣٩

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ١٥٦

وَالرُّخْجِيُّ الْأَعْوَرُ الـ دَجَالٌ مِنْ أَمْرَائِهَا (١)

" من الشخصيات المنبوذة في التراث الديني والتي لم تحل عليها اللعنة بسبب تمرد لها على الشرائع والتعاليم، وإنما بسبب خطيئة أخلاقية لا تقبل التبرير أو جريمة في حق الإنسان، فإننا لا نجد أحدا من شعرائنا استخدم مثل هذه الشخصيات في غير التعبير عن جوانب السقوط والخسة والجريمة، ومن أشهر هذه الشخصيات المسيح الدجال، الذي يأتي قبل قيام الساعة ليفتن الناس عن دينهم " (٢) .

ففي هذا البيت استدعى الشاعر شخصية الأعور الدجال (٣) ، وكل المسلمين يعرفون هذه الشخصية وفتنتها وأعمالها التي ستشيع الفساد في الأرض، كما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فالشاعر من خلال وصف عمر وتشبيهه بالأعور الدجال اثبت للمتلقي والمتوكل الصفات الخبيثة والفساد الذي قام به عمر الرخجي.

فتناص الشاعر مع شخصية الأعور الدجال مختصرا على نفسه الكثير من الكلام وذكر أمثله على فساد الرخجي ودهائه، وقد اختار الشاعر هذه الشخصية لشهرتها ومعرفته الجميع بها، وبالأعمال والفساد الذي ستقوم به في الأرض، " فإن شعرا عا قد عبروا من خلاله عن القوى التي تحاول أن تفتن الناس عن معتقداتهم أو أن تسلبهم مقدساتهم " (٤)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٠

(٢) علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٠٢

(٣) مصطفى أبو النصر الشلبي ، صحيح أشراط الساعة ، ط ٢ ، مكتبة الوادي، جدة، ١٩٩٤ م ، ص ٢٠٥-٢٠٥ وانظر : منصور عبدالحكيم ، نهاية العالم و أشراط الساعة ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٤٩-٢٠٧

(٤) علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ١٠٣

فكان ورود هذه الشخصية في هذا البيت هجاء مريرا لعمر الرخجي، دون الخوض في التفاصيل فإذا كان الرخجي يشبه الأعور الدجال، فما بعد هذا الظلم والفساد ظلم وفساد، وما بعد هذا الكلام كلام.

وفي قصيده غزليه تحدث فيها الشاعر عن الحب و آلامه ،والفراق وأوجاعه، استحضر الشاعر شخصية عرفت هذه المعاناة وهي شخصية الشاعر قيس بن الملوح مجنون ليلي (١) حيث قال :

كَمَا قَالَ قَيْسٌ حِينَ ضَاقَ مِنَ الْهَوَى فَلَمْ يَسْتَطِعْ فِي الْحُبِّ بَسْطًا وَلَا قَبْضًا
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ حَلَقَةً خَاتَمٌ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا (٢)

تحدث الشاعر عن الحب والهيام، وحلاوة هذا الحب وجماله وروعته، ولكن الكثير من الشعراء عند حديثهم عن الحب لابد أن يتحدثوا عن ألم الجوى، ولوعة الفراق، وشاعرنا كان كذلك ولكنه استخدم أسلوبا جميلا وهو استحضار شخصية عرفت واشتهرت في المجتمع العربي بهذه اللوعة وحرارة الفراق، فحضور هذه الشخصية في هذه القصيدة يدل على المرارة التي يعاني منها الشاعر، فما كان من الشاعر إلا أن أحال المتلقي إلى أخبار قيس بن الملوح التي لا تخفى على أحد (٣).

فحضور شخصية مثل شخصية قيس بن الملوح (٤) في هذه القصيدة يضفي على هذه القصيدة لمسة جمالية، حيث إن هذه الشخصية عرفت واشتهرت بالحب الصادق والوفاء للمحوبة بالرغم من كثرة المصاعب والبعد والفراق.

(١) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ١-٩٦

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٩

(٣) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ١-٩٦

(٤) المرجع السابق، ج ٢ ، ص ١-٩٦

فشاعرنا سخر هذه الشخصية ليعبر من خلالها عن صدق حبه ووفائه من جهة، وعن

متاعب الحب وألم الجوى والفراق بين المحبين من جهة أخرى .

" خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة ،فخرجت عليهم الأعراب في خساف، فهرب من كان في القافلة من المقاتلة وثبت علي بن الجهم، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظوا بشيء " (١) ، فقال قصيدة تحدث بها عن هذه الحادثة وأخذ يصف ما حدث له وكيف صمد ووقف في وجه هؤلاء الأعراب، فأخذ يفخر بنفسه وشجاعته، وطيب نسبه في هذه القصيدة إلى أن وصل إلى قوله :

أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أَرَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَتَضَجَّرُ
أُولَئِكَ آلُ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ بِهِمْ يُجْبَرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
هُمُ الْمَتَكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَتَكِبٍ سَيُوفُهُمْ تَفْنِي وَتَقْنِي وَتُفْقِرُ (٢)

فالشاعر في هذا البيت استدعى شخصية فهر بن مالك بن النضر (٣) و من خلال استدعاء شاعرنا لهذه الشخصية ومدحها يثبت للجميع نسبة القرشي، لأن كل قرشي تنتسب إلى فهر بن مالك، والشاعر باستدعائه هذه الشخصية في قصيدته يبتغي الفخر بالنسب الشريف الذي ينتسب إليه، وهو نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذي ينتسب بدوره إلى قبيلة قريش

(١) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢١٥

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٣٢

(٣) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ١٠ ، ج ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٧
يقول الزركلي : فهر بن مالك بن النضر، من كنانة، من عدنان؛ جد جاهلي،من يتصل بهم النسب النبوي.كنيته أبو غالب،كان رئيس الناس بمكة،وهو جماع قريش في قول هشام،وكان قائد كنانة ومن انضم إليها من مضر وغيرهم في قتالهم لحسان ابن عبد كلال الحميري، حين أغار على الحجاز بجيش من اليمن، يريد نقل حجر الكعبة إلى اليمن، لتحويل الحج إلى بلاده، فظفر فهر ومن معه، وهزمت حمير.وكانت منازل بنيه حول مكة، قال ابن حزم: لا قريش غيرهم، ولا يكون قرشي إلا منهم، وهم بطون كثيرة جدا

فقد عرفت هذه القبيلة بالقوة ، والشجاعة ، والسيادة بين القبائل العربية ، فيعتبر الشاعر عمله هذا ليس غريبا أو مفاجئا ، لأنه ينتسب إلى هذه القبيلة الشريفة والعريقة (١).

" وصف الشاعر مظاهر الحضارة الحديثة من دور قصور وبرك ، فانصرف عن اللفظة الخشنة والموسيقى القوية والصورة البدوية إلى رقيق القول ورائق النغم وحضري الخيال " (٢) ، " ومن المناظر الحضرية التي ترتبط بالمدن القصور الفخمة التي كانت ترتفع شامخة في سماء سامراء ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، وغيرها من المدن ، وكان لهذه القصور أسماء معروفة تنسب لأصحابها ، أو للمكان الذي شيدت فوقه ، وقد اختص الخلفاء وأولادهم ووزراؤهم بأكبر عدد منها " (٣)

" يمدح الشاعر المتوكل ويصف القصر المعروف بالهاروني " (٤) بالجمال والروعة والعظمة والدقة في البناء " ، فنراه يصفه بالفخامة والجمال حتى أنه لما رأى هذا البناء رأى الخلافة الإسلامية العظيمة ، في هذه الدار التي أنشأها الخليفة الواثق بالله هارون بن المعتصم وقد كان

(١) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج ١ ، ص ٢٦٩-٢٧٣

فقد ورد في سبل الرشاد : " عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم : فضل الله قريشا بأنهم ، وأن النبوة فيهم ، وأن الحجابة فيهم ، وأن السقاية فيهم ونصرهم على القيل ، وعبدوا الله عشر سنين لا يعيده غيرهم ، وأنزل فيهم سورة من القرآن لم تنزل في أحد من غيرهم " وعن جعفر بن محمد عن أبيه معضلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتاني جبريل فقال : يا محمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا من مضر . ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ، ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيا خيرا من بني هاشم ، ثم أمرني أن أختار في أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك " . وانظر : ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٨٤

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم حياته وشعره ، ص ١٥٧

(٣) أنور أبو سويلم ، الطبيعة في الشعر العباسي الأول ، ط ١ ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٣ ، ص ٣١١

(٤) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٣٣

يعد ما شاده الفرس والروم من أبنية دور في شموخهم وتعاليمهم، فجاء بناء الخليفة باعثاً لهم على تواضع جباريهم والحد من غرورهم، وتعظيمهم ذلك لجماله الرائع، فكان هذا البناء حجة للمسلمين يدل على تفوقهم على الكفار، لما له من البدائع التي لم ترها الفرس والروم في طول أزمانها " (١).

وفي هذه القصيدة يستدعي الشاعر قوم فارس والروم عندما قال :

فَلِلرُّومِ مَا شَادَهُ الْأَوَّلُونَ وَلِلْفَرَسِ مَأْثُورُ أَحْرَارِهَا
بَدَائِعَ لَمْ تَرَهَا فَارِسٌ وَلَا الرُّومُ فِي طُولِ أَعْمَارِهَا (٢)

فالشاعر تتأصص هنا مع أمتين عظيمتين هما الروم وفارس، وقد استحضّر الشاعر هاتين الأمتين هنا ليحيل الشاعر إلى تاريخ هذه الأمم السابقة التي عرفت بالحضارات العريقة، فنحن نعرف أن حضارة الفرس وحضارة الروم من أبرز الحضارات القديمة وأعرقها، وقد تميزت بكل شيء خاصة البناء والزخرفة المعمارية، فالشاعر استدعى هاتين الأمتين ليذكر المتلقي بعراقة تلك الحضارات، وليصف بدقة هذا البناء وجمال زخرفته التي فاقت زخرفة الروم والفرس. فتأصص الشاعر هنا مع هاتين الأمتين مادحا لهما لأن مدح هذه الأمم وتفوق حضارة المسلمين عليهما يدل على عظمة هذه الحضارة .

فالشاعر مدح حضارة الروم والفرس متخذاً من ذلك سبيلاً إلى مدح المتوكل ووصف قصره الذي فاق ما عرفتته حضارة الروم والفرس.

(١) أمل رجبان القنّامي ، الوصف في شعر علي بن الجهم ، ص ٦٣

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٨

" دخل علي بن الجهم يوما على عبدالله بن الطاهر في غدوة من غدوات الربيع، وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا، وقد كان عبد الله عزم على الصبح، فغاضبته حظية له فتغص عليه عزمه وفتر، فأخبر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قل في هذا المعنى شيئا لعله ينشط للصبح فدخل عليه فأنشده " (١) ، فتحدث عن ذلك اليوم ووصفه لينتقل إلى الحديث عن الخمر ليقول:

فَبَاكِرِ الرَّاحِ وَأَشْرِبْهَا مُعْتَقَةً لَمْ يَنْخِرْ مِثْلَهَا كِسْرَى وَلَا عَادُ(٢)

وفي هذا البيت استدعى الشاعر حضارتين حضارة عاد وكسرى وهما حضارتان تمتعتا بالنقمة والأزدهار والتطور في كل المحافل، ولكن الشاعر استدعى هاتين الحضارتين من أجل مدح الراح، فاختار الشاعر لذلك حضارتين عظيمتين لم يعرفا مثل هذه الراح رغم التطور الكبير الذي وصلتا إليه، من أجل الإعلاء من صفات وميزات هذه الخمرة، فرغم النقمة إلا أنهما لم يمتلكا مثل هذه الخمرة، فاستدعى الشاعر هذه الحضارات وحرمانها من التمتع بهذه الراح يدل على عظمة الراح وعظمت الحضارة التي وجدت بها .

(١) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٢٤

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٣

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية

بعد أن درسنا التناص نظرياً وبيننا كثيراً من جوانبه وخفاياه ، ودرسنا مصادر التناص في شعر علي بن الجهم ، التناص الديني بشقيه القرآني والحديث النبوي ، والتناص الأدبي بشقيه الشعري والنثري ، والتناص التاريخي بشقيه الأحداث التاريخية والشخصيات ، وحاولنا تتبع هذه التناصات من خلال عناوين كبيرة ، جاء الفصل الأخير ليجمع الشتات ، ويعلي البناء ، ويوحد الموضوع ، فجاء هذا الفصل تطبيقاً إجرائياً على قصائد كاملة ، مراعين فيها تكامل التناص بموضوعاته المختلفة ، وما أحدثه هذا التناص من مسائل فنية وأسلوبية مختلفة بالصورة وأشكال القول المتنوعة ، على أساس أن تشكل جميعاً وحدة واحدة يضمها نص كامل ، هو ما نسميه عادة بالقصيدة .

ونقرأ في هذا المجال نصين كاملين ، ناظرين إلى أنهما يشكلان إطاراً لفاعلية التناص الشعري لدى علي بن الجهم ، في بنائية الرؤية الشعرية وتشكيلاتها ، ضمن وحدة واحدة متحدة الأولى في مدح المتوكل والتي بدأها بمقدمة غزلية خللتها عبر التاريخ وهي :

عُيُونُ الْمَهْمَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

والثانية من قصائد سجنه ، التي بث فيها الإباء والكبرياء ، وكانت أيضاً كما قال عنها الجميع إنها من روائع القصائد التي قيلت في السجن وهي :

قَالَتْ حُبْسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُعَمِّدُ

ونحن من خلال دراسة هاتين القصيدتين نحاول تتبع التناصات التي بني الشاعر من خلالها القصيدتين .

قصيدة عيون المها :

" يأتي المديح في طليعة أغراض الشاعر علي بن الجهم العامة ،فهو يشغل أكثر من ربع ديوانه ،وقد قصر الشاعر مدائحه على الخلفاء أو كاد، ولا غرو فهو ابن أسرة تتمتع بالجاه العريض، والثروة الوفيرة، والمكانة المرموقة ،ثم أنه لم يتخذ الشعر أداة للنكسب ،وقد خص الشاعر المتوكل بجل مدائحه، ذلك أنه لم يقل في المعتصم إلا قصيدة واحدة، ولم ينشد في الواثق إلا خمس مقطوعات قصيرة خفيفة كأنها أعدت للغناء وقد غني بها فعلا " (١).

" وقد مدح الشاعر المتوكل مديحا دينيا سياسيا وآخر اجتماعيا وثالثا ذاتيا شخصيا ،وامتازت مدائحه بطائفة من الخصائص أبرزها الموضوعية، فهو لم ينعت به بما ليس فيه، ولم ينسب إليه من الأعمال ما لم يفعله " (٢).

" وتميز مديح الشاعر أنه كان هادفا موجها ،ذلك أن الشاعر - كما يغلب على الظن - كان يخشى أن يتهاون المتوكل في أمر التسنن ،فجعل يلح على هذا الموضوع إلحاحا يقصد به الحاكم والمحكومين على السواء، فقد كان يريد أن تبقى محنة أهل السنة حية في أذهان الناس مشبوبة في قلوبهم، كما كان يريد في الوقت نفسه أن يثبت فؤاد الخليفة بالقول الثابت وأن يشعره بأثر مسلكه التسنني في اجتماع القلوب عليه " (٣).

" وقد تميز المديح عند الشاعر بصدق العاطفة وعمقها ،ومن مظاهر الصدق أن الشاعر كان يرسل نفسه على سجيبتها فيتدفق الشعر على لسانه تدفق الماء النмир من ريق الغيث " (٤).

(١) عبد الرحمن باشا ،علي بن الجهم حياته و شعره ، ص ٢٣٤

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٤

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥

" وقد ظهر في مديح الشاعر علي بن الجهم تكرار المعاني والصور، حتى أن المرء لو قرأ منه قصيدة أو قصيدتين أغناه ذلك عن قراءته كله، ولعل السبب في ذلك هو أن الشاعر صرف همه إلى امتداح الخليفة بموضوع واحد هو التسنن والتدين، وأن حياة المتوكل لم تحفل بالانتصارات والمفاجآت التي تمد شاعر المديح بموضوعات وأفكار طريفة " (١).

والشاعر علي بن الجهم مدح الخليفة المتوكل بقصيدته الرصافية _ إن جاز لنا تسميتها بذلك _ " وهي من القصائد التي شاع ذكرها، واشتهر أمرها لما تضمنته من دقيق المعاني، ورقيق المباني، التي تستحق له أن توسم بالسحر الحلال والعذب الزلال " (٢).

ويرجح أن هذه القصيدة " قيلت بعد سنة خمس وثلاثين ومائتين لما تضمنته من الإشارة إلىبيعة الخليفة بولاية العهد لأولاده الثلاثة " (٣).

وقد بدأها بمقدمة غزلية جميلة خلدت هذه القصيدة وجعلتها تتداول بين الناس، ويمكن تقسيم هذه القصيدة إلى عدة أقسام هي :

١- المقدمة الغزلية ١-٢٧

٢- فخر الشاعر بنفسه ويشعره ٢٨-٣١

٣- مدح الخليفة المتوكل ٣٢-٤٦

٤- مدح بني العباس وأحقيتهم بالخلافة ٤٧-٦١

(١) المرجع نفسه ، ٢٣٥

(٢) محمود خيرت ، تنوير الفهم في شرح وتشطير قصيدة ابن الجهم ، مطبعة الترقى ، مصر ، ١٨٩٩م ، ص ٥

(٣) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعرة ، ص ١٠١-١٠٢

والملاحظ للتقسيم السابق يجد أن المقدمة الغزلية أخذت نصف القصيدة تقريباً، والبقية الباقية هي مدح خاص للخليفة المتوكل ومدح عام للعباسيين.

سنحاول دراسة هذه القصيدة حسب هذه الأقسام، محاولين تتبع وتوضيح ما فيها من تناسلات استفاد منها الشاعر في تكوين قصيدته وخدمة موضوعاته.

وهذا نص القصيدة كاملاً :

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ	جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
أَعَدَنْ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ	سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمْرًا عَلَى جَمْرٍ
سَلِمَنْ وَأَسْلَمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا	تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُتَقَفَّةِ السُّمْرِ
وَقُلْنَا لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا	نَضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي إِلَيْنَا وَلَا نَقْرِي
فَلَا بَدَلُ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاطِرٌ	وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْخِيَالِ الَّذِي يَسْرِي
أَحِينَ أَزَلْنَا الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ	وَالْهَبْنِ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّادِرِ
صَدَدَنْ صُدُودَ الشَّارِبِ الْخَمْرِ عِنْدَمَا	رَوَى نَفْسَهُ عَنْ شَرْبِهَا خِيفَةَ السُّكْرِ
أَلَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الْمَشِيبُ بَدَأْنَنِي	بِيَأْسٍ مُبِينٍ أَوْ جَنَحْنِ إِلَى غَدَرٍ
فَإِنْ حَلَنْ أَوْ أَنْكَرَنْ عَهْدًا عَهْدَنَاهُ	فَغَيْرُ بَدِيعٍ لِلْغَوَانِي وَلَا نُكْرٍ
وَلَكِنَّهُ أَوْدَى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا	تُصَادُ الْمَهَا بَيْنَ الشَّبَابَةِ وَالْوَفْرِ
كَفَى بِالْهَوَى غِيَاً وَبِالشَّيْبِ زَاجِرًا	لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يُنْهَنَةُ بِالزَّجْرِ
أَمَّا وَمَشِيبٍ رَاعَهُنَّ لَرُبُّنَا	غَمَزْنَ بَنَانًا بَيْنَ سَحْرِ إِلَى نَحْرِ
وَيَتَنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ كَأَنَّمَا	خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ

خَلِيلِي مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمَرَّة
 بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ رَأَيْتُمَا
 وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ لِسِيرِهِ
 وَمَا أَنْسَى لَا أَنْسَى ظُلُومَ وَقَوْلِهَا
 فَقَالَتْ لَهَا الْأُخْرَى فَمَا لِصَدِيقِنَا
 عِندِهِ لَعَلَّ الْوَصْلَ يُحْيِيهِ وَإِعْلَمِي
 فَقَالَتْ أَدَارِي النَّاسَ عَنْهُ وَقَلَّ مَا
 وَأَيَقَنَّا أَنْ قَدْ سَمِعْتُ فَقَالَ—
 فَقُلْتُ فَتَى إِنْ شِئْتُمَا سَتَرَ الْهَوَى
 عَلَى أَنَّهُ يَشْكُو ظُلُومًا وَبَخَلَ—
 فَقَالَتْ هُجِينَا قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا
 فَقَالَتْ كَأَنَّا بِالْقَوَافِي سَوَائِرًا
 فَقُلْتُ أَسَأَتِ الظَّنَّ بِي لَسْتُ شَاعِرًا
 صِلِي وَإِسَالِي مَنْ شِئْتَ يُخْبِرُكَ أَنَّنِي
 وَمَا أَنَا مِمَّنْ سِيرَ الشَّعْرُ ذِكْرَهُ
 وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ
 وَالشَّعْرُ أَتْبَاعُ كَثِيرٍ وَلَمْ أَكُنْ
 وَلَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا

وَأَعْلَمَنِي بِالْخُلُوفِ مِنْهُ وَيَالْمُرُ
 أَرْقُ مِنَ الشَّكْوَى وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ
 وَلَا سِيَّمَا إِنْ أَطْلَقْتَ عِبْرَةً تَجْرِي
 لِجَارَتِهَا مَا أُولَعَ الْخُبَّ بِالْخُرُ
 مُعْنَى وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكَ مِنْ عُذْرِ
 بِأَنْ أَسِيرَ الْخُبَّ فِي أَوْثَقِ الْأَسْرِ
 يَطِيبُ الْهَوَى إِلَّا لِمُنْهَكِ السِّتْرِ
 مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي إِلَيْنَا وَمَا نَدْرِي
 وَإِلَّا فَخَلَاغُ الْأَعْنَةِ وَالْعُذْرِ
 عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ الْبِشَاشَةِ وَالْبِشْرِ
 ذَكَرْتُ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْفَعُ بِالشَّرِّ
 يَرِدْنَ بِنَا مِصْرًا وَيَصْدُرْنَ عَنْ مِصْرِ
 وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
 عَلَى كُلِّ حَالٍ نِعَمَ مُسْتَوْدَعِ السِّرِّ
 وَلَكِنْ أَشْعَارِي يَسِيرُ بِهَا ذِكْرِي
 وَلَا زَانَنِي قَدْرًا وَلَا حَطُّ مِنْ قَدْرِي
 لَهُ تَابِعًا فِي حَالِ عُسْرِ وَلَا يُسْرِ
 وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ مُجْرِي

وَلَكِنَّ إِحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعَفَرٍ
 فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ الصَّنِيعَةِ مُنْعِمٍ
 فَتَى تَسَعَّدَ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِ وَجْهِهِ
 بِهِ سَلِمَ الْإِسْلَامُ مِنْ كُلِّ مَلْجِدٍ
 إِمَامٌ هَدَى جَلَى عَنِ الدِّينِ بَعْدَ مَا
 وَفَّرَقَ شَمَلَ الْمَالِ جُودٌ يَمِينُهُ
 إِذَا مَا أَجَالَ الرَّأْيَ أَدْرَكَ فِكْرُهُ
 وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبَذْلِهَا
 وَمَا غَايَةَ الْمُتَنَتِي عَلَيْهِ لَوْ أَنَّهُ
 أَلِيسَ إِذَا مَا قَاسَ بِالشَّمْسِ وَجْهَهُ
 وَإِنْ قَالَ إِنَّ الْبَحْرَ وَالْقَطَرَ أَشْبَهَا
 وَلَوْ قُرِنْتَ بِالْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
 وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ الْقَدِيمُ فَإِنَّمَا
 فَإِنْ كَانَ أَمْسَى جَعْفَرٌ مَتَوَكَّلًا
 وَوَلَّى عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ
 أَغْيَرَ كِتَابَ اللَّهِ تَبْعُونَ شَاهِدًا
 كَفَاكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَوَّضَ أَمْرَهُ

دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ
 وَهَبَ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 لَجَلَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الشُّكْرِ
 كَمَا تَسَعَّدُ الْأَيْدِي بِنَائِلِهِ الْغَمْرِ
 وَحَلَّ بِأَهْلِ الزَّيْغِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
 تَعَانَتْ عَلَى أَشْيَاعِهِ شَيْعُ الْكُفْرِ
 عَلَى أَنَّهُ أَبْقَى لَهُ أَجْمَلَ الذِّكْرِ
 غَرَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرِ
 كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
 زُهِيرٌ وَأَعَشَى وَإِمْرُؤُ الْقَيْسِ مِنْ حُجْرِ
 وَبِالْبَدْرِ قَلْنَا خَافَ لِلشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
 نَدَاهُ فَقَدْ أَتَى عَلَى الْبَحْرِ وَالْقَطْرِ
 لَمَّا أَدْرَكَتْ جَدْوَى أَنْامِلِهِ الْعَشْرِ
 يَقْصُ عَلَيْنَا مَا تَنَزَّلَ فِي الزُّبْرِ
 عَلَى اللَّهِ فِي سِرِّ الْأُمُورِ وَفِي الْجَهْرِ
 يُحْيُونَ بِالتَّأْيِيدِ وَالْعِزِّ وَالنَّصْرِ
 لَكُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
 إِلَيْكُمْ وَأَوْحَى أَنْ أَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ

وَلَمْ يَسْأَلِ النَّاسَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
وَلَنْ يَقْبَلَ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحُبِّكُمْ
وَمَنْ كَانَ مَجْهُولَ الْمَكَانِ فَإِنَّمَا
وَمَا زَالَ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ
أَبُو نَضْلَةَ عَمْرُو الْعُلَى وَهُوَ هَاشِمٌ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ شَبِيبَةُ الْحَمْدِ بَعْدَهُ
سَقَيْتُمْ وَأَطْعَمْتُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ
وُجُوهُ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْمَلِكِ زِينَةٌ
وَلَا يَسْتَهْلُ الْمَلِكُ إِلَّا بِأَهْلِهِ
وَمَا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ إِلَّا وَجَارَكُمْ
فَحَيَّوْا بَنِي الْعَبَّاسِ فِيهَا تَحِيَّةٌ
إِذَا أُنْشِدَتْ زَادَتْ وَلَيْكَ غِبْطَةٌ
سِوَى وَدَّ ذِي الْقُرْبَى الْقَرِيبَةَ مِنْ أَجْرِ
وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ بِلا طَهْرٍ
مَنَازِلُكُمْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الْحِجْرِ
تَذُبُّونَ عَنْهُ بِالْمُهَنْدَةِ الْبُتْرِ
أَبُوكُمْ وَهَلْ فِي النَّاسِ أَشْرَفُ مِنْ عَمْرُو
أَبُو الْحَارِثِ الْمُبْقَى لَكُمْ غَايَةُ الْفَخْرِ
عَلَى غَيْرِكُمْ فَضْلَ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ
كَمَا زِينَةُ الْأَفْلاكِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَا تَرْجِعْ الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الشَّهْرِ
بَنِي هَاشِمٍ بَيْنَ الْمَجْرَةِ وَالنَّسْرِ
تَسِيرُ عَلَى الْأَيَّامِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ
وَكَانَتْ لِأَهْلِ الزَّيْغِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ (١)*

(١) ديوان علي بن الجهم، ص ٢٥٢-٢٥٥

* وردت القصيدة في الديوان في أكثر من موضع، بترتيب مختلف للأبيات وعددها، وحتى في ألفاظ كثير من أبياتها، وهذه صفحات الديوان، ص ١٤١-١٤٨، ص ٢٢٠-٢٢٣، ص ٢٥٢-٢٥٥.

ونحن اعتمدنا أكمل الروايات كما يقول محقق الديوان، والمنقولة من كتاب جمهرة الإسلام

لمؤلفه أمين الدين أبي الغنائم الشيزري " انظر الديوان ص ٢٥١ " .

استفاد الشاعر في القسم الأول من نصوص كثيرة سابقة عليه فقد قال:

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أُدْرِى وَلَا أُدْرِى (١)

ففي هذا البيت يتحدث الشاعر عن جمال العيون وسحرها، التي تشبه عيون المهما التي عرفها العرب وارتبطت بجمال العيون ، وهذا السحر والفتنة جاءت من كل مكان دون تحديد، " وقول من حيث أدري المراد منه التعميم أي من كل صوب " (٢) ، فهذا المطلع الجميل الذي يتحدث عن جمال هذه العيون عرف في قصائد العرب.

تناص الشاعر هنا مع قول الشاعر ابن الدمينية :

وَسِرْبٍ مَبَاهِجٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا عُيُونُ الْمَهَا جَبِيتَ عَلَيْهَا الْبَرَّاقِعُ (٣)

نلاحظ أن عيون المهما هي المشبه به بدلالة علة جمال هذه العيون وحسنها.

تحدث الشاعر عن أبرز محاسن الوجه التي تثير الحب والوله في قلب العاشق وهي للعيون، وقد شبه هذه العيون أيضا بعيون المهما دلالة على الجمال والروعة والانتساع .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٢

(٢) محمود خيرت ، تنوير الفهم في شرح وتشطير قصيدة ابن الجهم ، ص ٨

(٣) ديوان ابن الدمينية ، ص ٨٩

وتتأص كذلك مع قول الشاعر البحتري :

فَعَلَّكَ تَقْضِي حَسْرَةً حِينَ لَمْ تَجِدْ عَيْونُ الْمَهَا يَوْمَ اللّوَى فَيْكَ مَعْشَقَا (١)

يتحدث الشاعر عن المسرة التي تتأب العاشق عندما يرى عيون الحبيبة التي تشبه عيون المهّا، والتي تُبعث في نفسه السعادة والفرح والسرور.

فنلاحظ أن الشعراء يجمعون على تشبيه العيون الجميلة والساحرة بعيون المهّا، وكذلك فعل الشاعر .

وقد تتأص الشاعر في نفس البيت مع قول الشاعر بكر بن النطاح عندما قال :

أَهْلُ دَارِ بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ رِ أَطَالُوا غَيْظِي بِطُولِ الصُّدُودِ (٢)

فالشاعر ذكر في بيته الرصافة والجسر وهو يتحدث عن الغزل، ونلاحظ أن شاعرنا ذكر نفس المكانين السابقين في قصيدته وهما الرصافة والجسر، فقد يدل ذلك على جمال هذين المكانين وجمال ساكنيهما.

وفي البيت الثاني يتحدث الشاعر عن حبه القديم الذي لم ينسه حيث قال :

أَعْدَنَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنَ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ (٣)

و يؤكد ذلك في نفس البيت عندما قال: ولم أكن سلوت ،فشاعرنا يحتفظ داخل فؤاده بحبه القديم ،وهو محافظ عليه ولكن هذه العيون وجمالها زادت من ألم الشاعر وحسرتة وتذكر آلامه، وما عاناه من ألم الجوى وآهات الذكريات.

(١) ديوان البحتري ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، ط٣ ، ج٣، دار المعارف ، القاهرة، ص١٤٩٧

(٢) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٩ ، ص ١١٧

وانظر : محمد نبيل الطريفي ،ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ،ج١، ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٠٧

(٣) ديوان علي بن الجهم ،ص ٢٥٢

تناص الشاعر علي بن الجهم هنا مع قول الشاعر ابن الرومي عندما قال :

تفكرتُ من عمرو وفيّ وفيكمُ فأحسست في الأحشاء جمرًا على جمر (١)

حيث إننا نرى أن التعبير " جمرًا على جمر " يدل على عمق الألم وقسوته وحرارته، و لفظة الجمر تدل على الحرارة وتكرارها يدل على ارتفاع هذه الحرارة، فهذا التعبير الشائع بين الشعراء يستخدمونه للدلالة على الألم والمعاناة، وكل حسب نوع مشكلته ومعاناته.

وفي البيت نفسه تناص الشاعر علي بن الجهم مع قول الشاعر الأصوص الأنصاري حيث قال :

وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى الْأَيْكِ بَيْنَ الْقَرِيَتَيْنِ تَفَجَّعُ
مُطَوَّقَةً تَدْعُو هَدِيلاً وَتَحْتَهَا لَهُ فَنَنْ نُو نَضْرَةً يَنْزَعَزَعُ (٢)

فشاعرنا ذكره بهذا الشوق العيون الجميلة والساحرة، والشاعر الأصوص ذكره بشوقه القديم نوح الحمامة، فنلاحظ اجتماع الشاعرين بذكر الشوق القديم ولكن مع اختلاف المهيج لهذه المشاعر بينهما ، والشوق حديث كل شاعر غزل .

ويتابع الشاعر الحديث عن هذا الجمال وما أحدثه من إحياء للذكريات وإلهاب للأشواق وحنين للماضي، وحديثهن عن أنفسهن وما يعملنه في المحب المشتاق.

ويتابع الشاعر علي بن الجهم الحديث عن الفتيات وما فعلن في حياته من تغيير وتأجيج للمشاعر، "وينطق الفتيات التي تشبهن أنفسهن بالبدور التي تضيء الطريق لمن يسير ليلاً " (٣).

(١) ديوان ابن الرومي ، ج٣ ، ٩٦٢

(٢) ديوان الأصوص الأنصاري ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، قدم له شوقي ضيف ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٧١

(٣) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ص ٨٢

ومن يتحدث عن الحب لا بد أن يتحدث عن الصدود والفراق حيث قال :

صَدَدَنَ صُدُودَ الشَّارِبِ الْخَمْرَ عِنْدَمَا رَوَى نَفْسُهُ عَنْ شَرِبِهَا خَيْفَةَ السَّكْرِ (١)

وقد تناص مع قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

فَصَدَّتْ صُدُودَ الرِّيمِ ثُمَّ تَبَسَّمتْ وَقَالَتْ لِتَرْبِيهَا إِسْمَاعًا لَيْسَ يَرْفُقُ (٢)

مع الاختلاف بينهما فابن الجهم جعل الصدود مقترنا بشارب الخمر، أما عمر فقرنه بالرِّيم .

وقول الشاعر رؤبة بن العجاج :

صَنَّتْ وَيَبْدِي الْكِبْرُ الْمَقَانِرَا صُدُودَ أُمِّ الْبَوِّ أَمْسَتْ ذَائِرَا (٣)

وقول الشاعر البحتري :

مَا لِلْمُدَامَةِ بَعْدَ طَوْلٍ وَصَالِهَا صَدَّتْ صُدُودَ مُجَانِبِ غَضَبَانِ (٤)

إن جميع هؤلاء الشعراء قد تحدثوا عن الصد والهجران والتمنع من هذه المحبوبة وشاعرنا عانى مثلهم من هذا الصد وهذا التمتع.

ويتابع الشاعر أحاديث الحب والغزل ، إلى أن يصل إلى قاهر الجمال ومبعد النساء وهو الشيب ، يتحدث عنه ويجعله السبب الرئيس لبعد الفتيات عنه ، فهذا الزائر الأبيض رغم لونه الجميل إلا أنه في هذه العلاقة يكون سببا في هجر الفتيات له ، وعدم الاهتمام به فيقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٢

(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٤٥٣

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج ، تحقيق راضي محمد عيد نواصرة ، ج ١ ، ط ١ ، دار وائل ، عمان ، ٢٠١٠

ص ٣٩٦

(٤) ديوان البحتري ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٥

أَلَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ الْمَشِيبُ بِدَأْتَنِي بِيَأْسٍ مُبِينٍ أَوْ جَنَحَنَ إِلَى الْغَدْرِ
وَلَكِنَّهُ أَوْدَى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا تُصَادُّ الْمَهَا بَيْنَ الشَّبِيبَةِ وَالْوَفْرِ
كَفَى بِالْهَوَى غِيَاً وَبِالشَّيْبِ زَاجِراً لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يَنْهَنُهُ بِالزَّجْرِ
أَمَّا وَمَشِيبٍ رَاعَهُنَّ لَرُبَّمَا غَمَزْنَ بَنَاتاً بَيْنَ سَحَرٍ إِلَى نَحْرِ (١)

وقد تتاص الشاعر هنا مع قول الشاعر دعل الخزاعي عندما قال:

لَمَّا رَأَتْ شَيْباً يَلُوحُ بِمَقْرِقِي صَدَّتْ صُنُودَ مُفَارِقٍ مُتَجَمِّلٍ (٢)

وكذلك قول الشاعر النابغة الشيباني :

وَيَزْجُرْتِي الْإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ وَالتَّقَى وَفِي الشَّيْبِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ زَاجِرٌ (٣)

وكذلك قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة عندما قال :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ (٥)

إن جميع الشعراء قد اتفقوا على أن هذا التغير في لون الشعر من الأسود إلى الأبيض

يجعل الغواني ينفرن منهم ويبتعدن عنهم، رغم إصرارهم على أن هذا الشيب هو فقط تغير لون

ولا علاقة له بغزارة العشق وحياة القلب.

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٢

(٢) ديوان دعل الخزاعي ، تحقيق عبد الصاحب عمران ، ط ٢ ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٣٥٠

(٣) نابغة بني شيبان ، ديوان ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٧

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٤٩٣

" وبعد أن يتمادى في أفكاره الغزلية يعترف بحقيقة واضحة وهي أن الهوى حلو ومر في آن واحد " (١) ، وهذه الحقيقة يرسلها الشاعر لنا من خلال مخاطبة أصدقائه، وهذه المخاطبة التي شاع ذكرها في قصائد الغزل حيث قال :

خَلِيلِيَّ مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمْرَةً وَأَعْلَمْتِي بِالْحَلْوِ مِنْهُ وَبِالْمُرِّ (٢)

فالشاعر من خلال حديثه لأصدقائه يحاول الترويح والتفريغ عن هممه وآلامه، ويحاول مشاركة الآخرين له علمهم يواسونه ويقدمون له النصيحة ،ومن الشعراء الذين تناص معهم قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة وهو يخاطب أخلاءه فيقول :

خَلِيلِيَّ مَا حُبُّ كَحَبِّ أَحِبَّةٍ وَلَا دَاءُ ذِي حُبٍّ كَدَائِي وَلَا هَمِّي (٣)

وقوله كذلك :

خَلِيلِيَّ لَوْ أَرْقِي مَجِيئًا إِلَى الرِّقَى رَقِيتُ بِمَا يُدْنِي النُّوَارَ مِنَ الْعُصَمِ (٤)

وقول بشار بن برد كذلك :

خَلِيلِيَّ لَا تَسْتَنْكِرَا لَوَعَةَ الْهَوَى وَلَا سَكْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَطَتْ حَبَائِبُهُ (٥)

" ويقر أيضا بأن ثمة حرمة تفرق بينه وبين الحبيبة غير أن الشكوى رفيقة وناعمة

والهجر قاس " (٦) .

(١) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ، ص ٨٢

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢١٨

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٢١٩

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٥٧

(٥) ديوان بشار بن برد ، ج ١، ص ٣٢٥

(٦) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ص ٨٢.

" وأسرار المحب تبديها عنده نظرات العين خصوصا عندما تترافق مع العبرات الجارية " (١)

ويتناص الشاعر علي بن الجهم مع الشاعر عمر بن أبي ربيعة في قصيدته التي يجري فيها

حوارا بين الفتيات حوله، ليسير الشاعر على نهج هذا الحوار فيقول :

وما أنسى لا أنسى ظلومَ وقولها لجارتها ما أُلغِ الحُبُّ بالحرِّ
فَقَالَتْ لَهَا الأُخْرَى فَمَا لِصَدِيقِنَا مُعَيَّ وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكَ مِنْ عُذْرِ
عَدِيهِ لَعَلَّ الوَصْلَ يُحْيِيهِ وَإِعْطِي بِأَنْ أُسِيرَ الحُبُّ فِي أَوْثَقِ الأَمْرِ
فَقَالَتْ أَدَارِي النَّاسَ عَنْهُ وَقَلَّمَا يَطِيبُ الهَوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السِّتْرِ
وَأَيَقُنْنَا أَنْ قَدْ سَمِعْتُ فَقَالَتَا مَنِ الطَّارِقُ السَّارِي إِلَيْنَا وَمَا نَدْرِي
فَقُلْتُ فَتَى إِنْ شِئْتُمَا كَتَمَ الهَوَى وَإِلَّا فَخَنَّاغُ الأَعْنَةِ وَالْعَمْدِ (٢)

يتحدث الشاعر عن إحدى ذكرياته مع محبه عندما استمع خلصة لحديث المحبوبة مع

جارتها عن حبها له. وقد رسم الشاعر لنا لوحة حوارية جميلة دارت بين المحبوبة وجارتها التي

عندما سمعت حديثها طلبت منها وتوسلت إليها أن تصل هذا المحب وتحافظ عليه، فردت عليها

أنها تحاول بكل ما أوتيت من قوة من أجل الحفاظ على هذا الحب. وأثناء هذا الحوار تنبهتا إلى

وجود من يسترق السمع عليهما، فنبهنه حتى يظهر، فرد عليهما ليشارك في الحوار، إنه الفتى

المقصود في الحديث والحوار، فخيرها بين كتم الهوى و المحافظة عليه، أو عدم المبالاة لهذا

الحديث.

فتناص الشاعر هنا تناصا مباشرا مع قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة عندما قال :

(١) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ص ٨٣

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٤٥

قُلْنَ يَسْتَرْضِيْنَهَا مُنِيْنًا لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ فِي سِرٍّ عُمَرُ
 بَيْنَمَا يَنْكُرُنَنِي أَبْصَرَنَنِي دُونَ قَيْدِ الْمَيْلِ يَدْعُو بِي الْأَغْرُ
 قُلْنَ: أَتَعْرِفْنَ الْفَتَى؟ قُلْنَ: نَعَمْ قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ
 ذَا حَبِيبٍ لَمْ يُعْرَجْ دُونَنَا سَاقَةُ الْحَيْنِ إِلَيْنَا وَالْقَمَرُ (١)

التي يتحدث فيها عمر بن أبي ربيعة عن الحوار الذي جرى بين الفتيات حوله، فبينما كن يتمنين قدومه وإذ به مقدم على فرس أغر على مرأى من الجميع. فتساءلت الفتيات حوله وحول معرفته فردت جميع الفتيات: إنهن يعرفنه إنه عمر. ولكن الصغرى ضربت مثلا لتؤكد للجميع على معرفته وحبها له عندما قالت: وهل يخفى القمر.

فتناص الشاعر علي بن الجهم هنا تناصا مباشرا من خلال بناء القصيدة على أسلوب الحوار القائم بين الفتيات حول الحب. فعمر بنى الحوار بين الأخوات، وعلي بنى الحوار بين الجارات، فسار علي بن الجهم على خطى عمر بن أبي ربيعة. فالغزل من خلال رسم المشهد الحوارى الذي يظهر في كلا الحوارين تعلق الفتيات في المحبوب .

ونلاحظ انقلاب الغزل في كلا المشهدين، " وما يصور فيه الرجل نفسه محبوبا من النساء ومطلوبا منهن " (٢) .

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ١٥١

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، ص ١٥١

وبعد هذه المقدمة الغزلية ينتقل الشاعر إلى موضوع آخر، وهو الفخر بنفسه " وبشعره ،
فقد أكثر علي بن الجهم من الاعتداد بشاعريته، وزها بقدرته على قرض الشعر وتفوقه فيه،
ومعرفته بغاليه وبزه الفحول ... فأشاد بسيرورته في الآفاق " (١) ،وها هو يقلب الشيء
المعهود والمتعارف عليه بين الناس ،وهو أن الأشعار عندما تتناقل بين الناس والمجتمع يصبح
الإنسان مشهورا واسمه متداولاً بينهم ،ولكن شاعرنا علي بن جهم يقلب ذلك ويقول إن الناس
تبحث عن أشعاره لأنهم عرفوا شخصه قبل معرفة أشعاره ،فكان الناس يتذوقون شعره و
يتناقلونه بينهم لا لجمال شعره أولاً ولكن بسبب قائله ثم لجماله وروعته ، " فهو يذكر أنه لا
يتكسب بالشعر ،وهو لم يزد قدره فقد كان نابه الذكر قبل أن يعرف شاعرا " (٢) فقد قال :

وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَارَ بِالشَّعْرِ ذِكْرُهُ وَلَكِنْ أَشْعَارِي يُسَيِّرُهَا ذِكْرِي (٣)

ثم يصل إلى قوله :

وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ وَلَا زَانَتِي قَدْرًا وَلَا حَظٌّ مِنْ قَدْرِي (٤)

(١) عبد الرحمن باشا ،علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٢٢

(٢) مجاهد بهجت ، الملامح الإسلامية في شعر علي بن الجهم ، ص ٣٧١

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٣

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٣

حيث يتحدث عن القيمة والمنزلة التي يتمتع بها الأشخاص الذين يقولون الشعر ، وأن هذه القيمة والمنزلة هي لشخصهم قبل شعرهم، وقد استخدم هنا ألفاظ استظل وظله وهذا تناس مع الحديث الشريف " عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُطْقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١) فقد استخدم الشاعر بعض الألفاظ التي تثير حفيظة المتلقي وتعيد ذاكرته إلى هذا الحديث، الذي يتحدث عن حال بعض الفئات يوم القيامة، والمنزلة التي يرتقون لها وهو ظل عرش الرحمن سبحانه وتعالى .

ويتحدث عن تبعية الشعراء، وقولهم الشعر لعدة أسباب منها التكسب والمنفعة ، وطلب الهبات ، وشاعرنا يتبرأ من هذا الموقف، والسبب في ذلك عندما يقول :

وَلِلشَّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَكَمْ أَكُنْ لَهُ تَابِعًا فِي حَالِ عُسْرِ وَلَا يُسْرِ (٢)

حيث ينأى الشاعر بنفسه عن هذه الفئة المتكسبة من الشعراء، بقوله إنني لم ألجا لهذه الطريقة لا في حال اليسر ولا في حال العسر ، وهاتان اللفظتان تنقلاننا إلى الآيتين الكريمتين من سورة الشرح " {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (٣) ، وكان الشاعر أراد أن يقول: إنه كان

(١) البخاري، ج ١+٢ ، ص ٦٠٣

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٣

(٣) سورة الشرح ، الآية ، ٦٠٥

من الأشخاص المعارضين للمتكسبين والمنافقين من الشعراء من أجل كسب المال ولا حتى في حال العسرة؛ لأن صاحب الحاجة لا يلام على البحث عن حاجته، ولكن شاعرنا حتى في هذه الحال ابتعد عن النفاق، وقول الشعر من أجل الحصول على المال .

إن الشاعر قدم حال العسرة على حال اليسر ليثبت للمتلقي أنه شاعر يمتلك عنفوانا كبيرا، فجاءت حالة العسر أولا وكانت حالة اليسر في البيت تحصيل حاصل ولكن الشاعر لم يغفلها أيضا .

وبعد هذا الفخر بنفسه وبشعره ينتقل الشاعر إلى الغرض الرئيس من القصيدة وهو مدح الخليفة المتوكل.

فتحدث من البداية عن أخلاق الخليفة وصفاته وأعماله، وأنها هي التي دعت له لقول الشعر فيه، حتى أن أخبار المتوكل شاعت بين الناس ووصلت إلى مسامع الجميع من خلال قصائد علي بن الجهم، التي سارت في البلاد كمسير الشمس التي تشرق على الجميع، والرياح التي تصل إلى كل مكان حيث قال :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (١)

تناص الشاعر هنا مع قول أبي تمام :

تَسِيرُ مَسِيرَ الرِّيحِ مُطَرِّفَاتُهَا وَمَا السَّيْرُ مِنْهَا لَا الْعَيْقُ وَلَا الْوَحْدُ (٢)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٣

(٢) ديوان أبي تمام ، ج ٢، ص ٩٤

تحدث أبو تمام أيضا عن مسير قصائده في ممدوحه مسير الريح التي تصل إلى كل مكان، ويقول: إنها لا تروح وتغدو وإنما تتناقل بينهم، وهو يفخر أيضا بجزالة قصائده وعظمتها وإعجاب الناس بها .

ونحن نلاحظ أن هذا المعنى هو نفس المعنى الذي أراده الشاعر علي بن الجهم، فقد تناص هنا في المعنى وبعض الألفاظ والصور .

ويواصل الشاعر مدح المتوكل والحديث عنه وعن كرمه ليصل إلى أهم أعمال المتوكل التي جعلت الشاعر يمدحه ويعلي من شأنه، وهي القضاء على فتنة خلق القرآن الكريم، ويعتبره المخلص للدين وللأمة من هذه الفتنة، التي كادت أن تعصف بالمسلمين، وتمزق شملهم حتى يصل الشاعر في المدح إلى البيت القائل :

إِذَا مَا أَجَالَ الرَّأْيَ أَدْرَكَ فِكْرُهُ غَرَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ (١)

الذي يتحدث فيه عن العقل الحكيم الذي يتمتع به المتوكل، ورجاحته، وبعد النظر، واستشراف المستقبل، وإدراكه لأمر كثيرة غابت عن الآخرين .

وتناص الشاعر هنا مع الحديث النبوي القائل :

" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَنْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " (٢)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٤

(٢) سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ٤٣٥

وهذا الحديث الذي يتحدث عن صفات الجنة وخيراتها التي لم تخطر على بال ولم ترها الأعين، وقد تناص الشاعر هنا مع الحديث من خلال استخدامه لألفاظ غرائب، لم تخطر ببال ولا فكر، وهذا نفس معنى الحديث أن في الجنة خيرات لم تخطر على بال إنسان ولم ترها الأعين . ويتابع الشاعر على بن الجهم مدحه للمتوكل، فتارة يشبهه بالبدر ،وتارة بالشمس ،وأخرى بالبحر حتى يصل إلى البيت الذي قال فيه :

وإن قالَ إنَّ البحرَ والقَطْرَ أشبَّها نداهُ فَقَدْ أَنتَى على البحرِ والقَطْرِ
وَلَوْ قُرِنتُ بِالْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لما أدركتُ جَدْوَى أَنامِلِهِ العَشْرِ (١)

وهو يتحدث عن أعطيات الخليفة المتوكل وكرمه وجوده وسخاء يده ،ويقول :لو أن البحر قرنت به سبعة أبحر لما أدركت كبر جود كرمه وسخاء يده الذي لا يجد له حدودا . " وإذا كان هناك من شيء يلفت النظر في هذا المديح فهو أن الشاعر حين يمدح الخليفة بالكرم والشجاعة يعمد إلى الموازنة بينه وبين البحر في معرض الجود، وبينه وبين الأسد في معرض البأس، ثم يخرج من هذه الموازنة برجحان كفة ممدوحه " (٢) .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٤

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعره ، ص ١١١

مثل هذا قوله :

قالَ وأينَ البحرُ مِن جودِهِ قلتُ ولا أضعافُهُ أَبْحُرُ
البحرُ مَحْصُورٌ لَهُ بَرَزَخٌ والجودُ في كَفِّهِ لا يُحْصَرُ

وقوله :

وَنَظَلِمُ إن قِسْناكَ بِاللَّيْثِ في الوَغَى فَإِنَّكَ أَحْمَى لِلذِّمَارِ وَأَبْسَلُ
وَأَسْتُ بِبَحْرِ أَنْتَ أَعْذَبُ مَوْرِدًا وَأَنْفَعُ لِلرَّاجِي نَدَاكَ وَأَشْمَلُ

وهذا تناص واضح ومباشر مع الآية الكريمة " **لَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**

مَا مَدَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (١) ، التي نتحدث عن عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته جل

شأنه مع فرق التشبيه (٢).

ويواصل الشاعر علي بن الجهم مدحه للمتوكل وتعداد مناقبه والإشارة إلى محاسنه ، ويتحدث للشاعر عن الأمم السابقة ، ويذكر أحد الكتب السماوية التي أنزلت على أنبياء الله وهو الزبور ، الذي أنزل على سيدنا داوود عليه السلام حيث قال :

وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ الْقَدِيمُ فَإِنَّمَا يَقْصُ عَلَيْنَا مَا تَنْزَلُ فِي الزُّبُرِ (٣)

وقد تناص الشاعر هنا مع الآية الكريمة التي ذكرت هذا الكتاب وهي قوله تعالى : " **وَإِنْ**

يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ } (٤)

الذي تحدثت عن الكتاب وما جاء به من أخبار وأنباء صادقة (٥).

ويواصل الشاعر المدح لكنه ينتقل من مدح شخص الخليفة المتوكل إلى مدح العباسيين على العموم ، وفضلهم وأحقيتهم في الخلافة دون غيرهم ، وولاية الأمر والنسب الشريف الذي ينتسبون إليه ، وهو بيت النبوة وآل الرسول ، حيث قال :

(١) سورة لقمان ، الآية ٢٧

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ٢ ، ص ٢٣٩

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٤

(٤) سورة فاطر و الآية ٢٥

(٥) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ١ ، ص ٢٣٩

كَفَّأَكُم بِأَنَّ اللَّهَ قَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْكُمْ وَأَوْحَى أَنْ أَطِيعُوا أَوْلَى الْأَمْرِ (١)

يقول الشاعر إن أمر الخلافة قد وصل إلى العباسيين وأصبحوا هم الخلفاء بعد الأمويين، وهو يتحدث عن حقهم في الخلافة، لأنهم من أهل بيت النبوة، فالخلافة سلبت منهم ولكنها عادت إليهم، وهم الآن حملة الدين وناشروه والمحافظون عليه، وبما أنهم الآن أصبحوا الخلفاء فقد وجبت طاعتهم من المسلمين تنفيذاً لأوامر الله سبحانه وتعالى، ومن أجل ذلك وإثباتاً لهذا الأمر والنهج تناص الشاعر تناصاً مباشراً مع الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (٢) فقد حث الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة على طاعته والرضوخ لأوامره، وحثهم أيضاً على طاعة الرسول في أوامره واتباع سنته، وكذلك طاعة أولي الأمر منكم أي الحكام والولاة وأصحاب الفقه والدين، وهذه الطاعة تكون في المعروف ولا طاعة لهم في معصية الخالق (٣)، فاستمد الشاعر قوة بيته وحجته من خلال هذا التناص المباشر مع هذه الآية الكريمة، التي لا يستطيع أحد أن ينكرها، فالشاعر وفر أدلته ولخصها كي يبرهن بها على حق العباسيين في الخلافة والطاعة، من خلال هذا التناص المباشر مع الآية الكريمة السابقة .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٨

(٢) سورة النساء ، الآية ، ٥٩

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٧٢٧-٧٢٩

ويذكر بعض أسماء أجداد العباسيين من قریش ، ويذكر العمل الذي كان يقوم به العباس وهو سقاية الحجيج فقد قال :

وَسَاقِي الْحَجَّيجِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بَعْدَهُ أَبُو الْحَارِثِ الْمُبْقِي لَكُمْ غَايَةَ الْفَخْرِ
سَقَيْتُمْ وَأَطْعَمْتُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ فَضْلَ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ (١)
وقول أبي طالب :

نَمَاتِي شَيْبَةُ سَاقِي الْحَجَّيجِ وَمَجْدُ مُنِيفِ الذُّرَى مُعْظَمُ (٢)
وقول إبراهيم بن هرمة :

فَدُونُكَهَا يَا ابْنَ سَاقِي الْحَجَّيجِ فَإِنِّي بِهَا عَنكَ لَمْ أَبْخَلِ (٣)
وقول بشار بن برد :

سَاقِي الْحَجَّيجِ أَبَوُهُ الْخَيْرُ قَدْ عَلِمَتْ عَلَيَا قُرَيْشٍ لَهُ الْغَايَاتُ وَالْقَصَبُ (٤)
وقوله أيضا :

مِنْكُمْ نَبِيُّ الْهُدَى يَقْرُو مَحَاسِنَهُ سَاقِي الْحَجَّيجِ وَمِنْكُمْ مُتَهَبُ الزَّادِ (٥)

فلاحظ أن هؤلاء الشعراء اتفقوا على مدح العباسيين بهذا العمل الذي كانوا يقومون به ، لأنه يعتبر من أشرف الأعمال واسماها ، التي قدمت للبيت العتيق ولزواره الذين يطوفون حوله فكان

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٥

(٢) ديوان أبي طالب ، عبد القادر العاني ، ط ١ ، كوفان للنشر ، فنلندة ، ١٩٩١ ، ص ٢١٢

(٣) ديوان إبراهيم بن هرمة ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، مكتبة الآداب ، النجف الاشرف ، ١٩٦٩ ، ص ١٨٦

(٤) ديوان بشار بن برد ، ج ١ ، ص ٢٦٠

(٥) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٩

هذا العمل شرفا ووساما للقرشيين عامة ولبنى هاشم خاصة.

ويتابع الشاعر المدح للعباسيين حتى يقول :

وَجُوهُ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْمَلِكِ زِينَةٌ كَمَا زِينَةُ الْأَفْلاكِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ (١)

نلاحظ هنا أن هذا البيت يستدعي في ذاكرة المتلقي الآية الكريمة " ﴿قَضَاهُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ

وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢) .

نلاحظ أن الشاعر استخدم زينة الأفلاك والسماء بالنجوم ،وهو نفس معنى الآية والفاظها

تقريبا ، فالسماء الدنيا زينت بالنجوم وحفظت بقدرة الله سبحانه وتعالى (٣) ، فكذاك زينت الخلافة

بخلفاء بني العباس الذين زادوها بهجة وجمالا .

ويختتم الشاعر علي بن الجهم هذه القصيدة بمدح عام للعباسيين وأحقيتهم في تسلم أمور المسلمين

والخلافة ،ويعد مآل الحكم إليهم من الأمويين هو رجوع الحق إلى أصحابه، وهذه النظرة إلى

حكم العباسيين ومدحهم كانت نظرة عامة عند بعض الشعراء حيث قال الشاعر:

وَلَا يَسْتَهْلُ الْمَلِكُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَلَا تَرْجِعُ الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الشَّهْرِ

وَمَا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ إِلَّا وَجَارِكُمْ بَنِي هَاشِمٍ بَيْنَ الْمَجْرَةِ وَالنَّسْرِ

فَحَيُّوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنِّي تَحِيَّةً تَسِيرُ عَلَى الْأَيَّامِ طَيِّبَةُ النَّسْرِ

إِذَا أَنْشَدْتَ زَادَتْ وَلِيَّكَ غِبْطَةً وَكَانَتْ لِأَهْلِ الزَّرِيعِ قَاصِمَةً الظَّهْرِ (٤)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٤

(٢) سورة فصلت ، الآية ١٢

(٣) محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، ج ٣ ، ص ٨٥

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢٥٤

وتناص الشاعر تناصاً مباشراً مع كثير من الشعراء الذين تحدثوا عن العباسيين، وعلو نسبهم، وثقافة عصرهم، وتطور حال المسلمين زمانهم، ومن ذلك قول الشاعر صريع الغواني :

أَنِسَ الْهَوَى بِبَيْتِي الْعُمُومَةَ فِي الْحَشَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
وَإِذَا تَكَامَلَتِ الْفَضَائِلُ كُنْتُ مِـــــــمُّ أُولَى بِذَلِكَ يَا بَيْتِي الْعَبَّاسِ (١)

وقول بشار بن برد:

وَأَنْتُمْ سِقَاةُ الْحَجِّ لَوْلَا حِيَاظُكُمْ وَأَدْلُنْكُمْ لَمْ تَحْمَدِ النَّاسُ مَوْرِدَا
لَكُمْ نَجْدَةُ الْعَبَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَسَاعَ وَأَشْهَدَا
بَنَى لَكُمْ الْعَبَّاسُ فِي شَرْفِ الْعُلَى وَفَضَّلَ ابْنَ عَبَّاسٍ أَغَارَ وَأَنْجَدَا
وَأَنْتُمْ حُمَاةُ الدِّينِ لَوْلَا دِفَاعُكُمْ لَقَدْ قَذَيْتَ عَيْنَاهُ أَوْ كَانَ أَرْمَدَا (٢)

نلاحظ حديث هؤلاء الشعراء عن العباسيين ومدحهم المتواصل لهم خاصة في شرف النسب، وعلو المنزلة، وعمل سقاية الحجيج الذي يعتبر من أشرف الأعمال وأنبلها، فكان هذا المدح مطلب الكثيرين من الشعراء ومنهم شاعرنا علي بن الجهم .

ونحن بهذا حاولنا تتبع التناصات في القصيدة الرصافية لننتقل بعدها إلى القصيدة

الثانية "قالت حبست".

(١) شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق سامي الدهان ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٢٤

(٢) ديوان بشار بن برد ، ج ٣ ، ص ٣٩-٤٠

قصيدة قالت حبست:

" إذا كان الشعر يقوم بعمق التجربة وتميزها ،وصدق العاطفة وغناها، والدقة في التعبير عن خلجات النفس وومضات الشعور على نحو موح يثير في نفوس المتذوقين انفعالا مماثلا للانفعال الذي اضطرهم في نفس صاحب التجربة، فقصائد علي بن الجهم في السجن أغلى قيمة ،وأكثرها أصالة، وأوضحها تصويرا لشخصية صاحبها، وأقدرها على مدنا بالتجربة التي عاناها الشاعر" (١).

وقال عنها محقق الديوان خليل مردم بك : (هذه قصيده من حر الشعر لم يقل في معناها مثلاً) (٢).

وقد ذكرها المسعودي في مروج الذهب عندما قال : " وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه إلى معناه أحد، وهو قوله: قالوا: حبست " (٣).

وقال عنها أبو الفرج الأصفهاني : " وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها قالت حبست " (٤) .

وقال عنها ابن خلكان في وفيات الأعيان : " وله وقد حبس أبياته المشهورة التي أولها: قالت حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي، وأي مهند لا يغمد وهي أبيات جيدة في هذا المعنى لم يعمل مثلاً، ولولا طولها لنكرتها " (٥) .

(١) عبد الرحمن باشا ،علي بن الجهم ، حياته و شعره ، ص ١٨٠

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤١

(٣) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ ، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٤ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٨، ص ١١٢

(٤) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢١٣

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، مجلد ٣ ، دار صادر بيروت ، ص ٣٥٧

وهذا نصها كاملاً :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيَاثَهُ
وَالشَّمْسُ لَوْ لَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ
وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ السِّرَارُ فَتَنْجَلِي
وَالْغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يَرَى
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالزَّاعِيَةُ لَا يَقِيمُ كُحُوبَهَا
غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِيَاتٌ عُودٌ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعَقِّبٌ وَلِرُبَّمَا
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفْرِجٍ كُورَبَةٌ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ السَّرْدَى
صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعَقِّبُ رَاحَةً
وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِذَنْبِيَّةٍ
بَيْتٌ يُجَنِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السِّجْنِ إِلَّا أَنَّهُ
يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا
بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ

حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُغْمَدُ
كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السِّبَاعِ تَسْرَدُ
عَنْ نَاضِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَبِّدُ
إِلَّا وَرِيْقُهُ يُرَاحُ وَيَرْعُدُ
لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنَدُ
إِلَّا النِّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ
وَالْمَالُ عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ
أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ
خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَكْدُ
فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ
وَبَيْدُ الْخَلِيفَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ
شَنْعَاءَ نِعَمَ الْمَنْزِلِ الْمَتَّوَرْدُ
وَيَزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ
لَا يَسْتَذِلُّكَ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ
تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
خَوْضُ الْعِدَى وَمَخَاوِفٌ لَا تَتَفَدُ

أَنْتُمْ بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	أُولَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ	طَابَتْ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمَحْتِدُ
أَمِنْ السَّوِيَّةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ	خَصِمَ تَقَرُّبُهُ وَآخِرُ تَبَعٍ
إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ	أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجَدُّ
شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا	فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَنْ يَشْهَدُ
لَوْ يَجْمَعُ الْخَصَمِينَ عِنْدَكَ مَشْهَدُ	يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ
فَلَنْ بَقِيَتْ عَلَى الزَّمَانِ وَكَانَ لِي	يَوْمًا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ مَقْعَدُ
وَأَحْتَجَّ خَصْمِي وَاحْتَجَجْتُ بِحُجَّتِي	لَفَلَجْتُ فِي حُجْجِي وَخَابَ الْأَبْعَدُ
وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ	وَالِلَّيْهِ مَصْدَرُنَا غَدًا وَالْمَوْرِدُ
وَلَنْ مَضَيْتُ لَقَلَّمَا يَبْقَى الَّذِي	قَدْ كَادَنِي وَلَيَجْمَعُنَا الْمَوْعِدُ
فَبِأَيِّ ذَنْبٍ أَصْبَحْتَ أَعْرَاضُنَا	نَهْبًا يُشِيدُ بِهَا اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ (١)

وهذه القصيدة قالها الشاعر في السجن مادحا المتوكل عليه بفرج عنه، ويتحدث بها بكل

كبرياء وعزة نفس، كل هذا ردا على خصومه والوشاة الذين وشوا به عند المتوكل .

وتعد هذه القصيدة من أجمل ما قاله الشاعر من قصائده في السجن، وغير الشاعر في هذه

(١) بيوان علي بن الجهم، ص ٤١-٤٧

القصيدة كثيرا من مفاهيم الناس ونظرتهم للسجن وقد بدأها بقوله :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهْنَدٍ لَا يُغْمَدُ (١)

" بدأ الشاعر داليتته بحديث دار بينه وبين نفسه ، وفي سكون السجون مجال طويل لأحاديث النفوس ونجواها ، غير أن النجوى هنا لا تتحو منحى هادئا كالذي يكون بين المتناجين عادة ، وإنما نتجه اتجاهها حادا عنيفا ، فلقد ألقت إليه نفسه بكلمة واحدة صورت فيها شمانتها به ، وأودعتها تاريخها الطويل معه ، حيث كانت تحذره مغبة صلابته في الحياة ، وعواقب صراحته في مواجهة الخصوم ، وتتنزه بما كان يتربص به من شر فقالت له : " حبست " ولم تزد " (٢) .

وهذا القول الناري والمستفز الذي كان هو المحفز لما قاله الشاعر ردا على كلامها ، فقد قالت له أراك محبوسا بعد منادمة الخليفة ، فجعل الشاعر هذا الكلام بداية صارخة لقصيدة كبريائية لم يقل مثلهما في السجون ، فانطلق الشاعر من هذه الكلمة ليبرز نظرتة للسجن ، وصموده أمام خصومه مهما آل إليه الحال به ، " فكانت هذه الكلمة سوطا ألهب مشاعره ، وفجر ينابيع القوة والثورة في ذاته ، فانطلق يجيبها في صرامة وتحذ " (٣) .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤١

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعره ، ص ١٨٨

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٨

فيقول: إن هذا الحبس لا يؤثر في شخصه ولا يكثر له كثيرا بل يزيد من صموده وكبريائه، فيبدأ بضرب أمثلة تدل على هذا الصمود وهذا الكبرياء والعزة والأنفة التي يتمتع بها، " وكان الحبس موزعا لمفاخرة الشاعر ومباهاته أيضا، وقد يكون ذلك غريبا؛ فالحبس نقمة يشفق الناس منها وهم في أحسن حالاتهم يتجلدون لها ويتصبرون عليها، أما أن تكون مجالا للفخر فذلك ما لا يصلح إلا لرجل أوتي من صلابة النفس وكبرياء الرجولة ما جعله يحول النقمة إلى نعمة، حتى لا يشمت الأعداء ويقر عيون الشائئين " (١).

فيبدأ الشاعر بقوله: إنه مهند عاد إلى غمده، ونحن نعرف أن السيف بعد المعارك يعود إلى غمده برهة من الزمن ليسل من جديد في معارك أخرى، فهو يعتبر السجن فترة انتقالية ليعود من جديد للحرية والإباء.

تناص الشاعر هنا تناصا عكسيا مع قوله هو :

ما عابَهُ أن بُزَّ عَنهُ لِبَاسُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ ما يَرى مَسْلُولا (٢)

وهو يتحدث عن صلبه في خراسان، حيث يعتبر نفسه وقد خلعت عنه ملابسه مثل السيف الذي استل من غمده، وأن هذا السيف جماله وقوته ومهابته وهو مسلول، وهذا الكلام عكس كلامه السابق من حيث تفضيل السيف وهو في الغمد.

وقد تناص كذلك تناصا عكسيا مع قول الشاعر البحتري وهو يتحدث عن السيف وهو مسلول أنه أشد مهابة من كونه مغمدا في جرابه فقد قال :

(١) عبد الرحمن باشا، علي بن الجهم، حياته وشعره، ص ١٢٥

(٢) ديوان علي بن الجهم، ص ١٧١

فَللسَيْفِ مَسْلُولا أَشَدُّ مَهَابَةً وَأَظْهَرَ إِفْرِنْدَا مِنْ السَّيْفِ مُغَمَّداً (١)

فنحن نلاحظ أن شاعرنا قد تناص تناصا عكسيا مع قوله السابق ،ومع قول الشاعر البحتري وأقر بأن السيف مهما سل فإنه عائد إلى غمده ،وهذا الأمر لا يقلل من شأنه.

ويتابع الحديث عن حاله و سجنه ، ويدلي في براهينه وأدلته حول ذلك فيقول: إن الأسود تعود إلى عرينها ،بكل كبرياتها والسباع الضعيفة والأقل افتراسا هي من تختال في الغابة فجعل من نفسه ذلك الأسد الهصور الذي يعود إلى عرينه فقد قال:

أَوْما رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غَيْلَهُ كِبَرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدَّدُ (٢)

ويتابع الشاعر عرض براهينه ويقول: إن الشمس تختفي حتى تبعث الضوء على الآخرين وتضيء النجوم ،وخاصة القمر الذي يستمد نوره من تلك الشمس، فقد جعل الشاعر من نفسه تلك الشمس التي حجبت ليلا فتوقد القمر بسبب غيابها ،رغم أن القمر في حضورها لا يساوي شيئا فقال:

وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ (٣)

وقد تناص الشاعر هنا تناصا داخليا مع قوله وهو يمدح المتوكل ويفاضل بينه وبين الشمس فقال:

وَقَاتِلِ أَيُّهُمَا أَنْسُورُ الشَّمْسُ أَمْ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ

قُلْتُ لَقَدْ أَكْبَرْتَ شَمْسَ الضُّحَى جَهْلًا وَمَا أَنْصَفْتَ مَنْ تَذَكَّرُ

الشَّمْسُ يَوْمَ الدَّجَنِ مَحْجُوبَةٌ وَاللَّيْلُ يُخْفِيهَا فَلَا تَظْهَرُ (٤)

(١) ديوان البحتري ، ج٢ ، ص ٦٧٣

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٢

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٢

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٧١

نلاحظ أن الشاعر استخدم المعنى والألفاظ نفسها ،وهو يتحدث عن الشمس التي تختفي بين الغيوم في اليوم الماطر ،وغيابها في الليل ،فقد تناص الشاعر هنا تناصا مباشرا في الصورة والمعنى والألفاظ في كلا الحالين أثناء حديثه عن الشمس مع الفرق في موضوع القصيدتين .

ونلاحظ أن الشاعر متضارب الأفكار حسب نفسيته فهو يؤول الأشياء حسب ما يريد، ليخدم بها فكرته ونظراته الآنية لهذا الأمر.

ويستدعي الشاعر في قوله:

وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ السِّرَارُ فَتَنْجَلِي أَيْامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدٌ (١)

الآية الكريمة: {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} (٢) حيث يتحدث عن القمر عندما يغيب في آخر أيامه ليعود من جديد متجددا متألقا، وقد اعتمد الشاعر على هذه الآية الكريمة بالرغم من أنه لم يذكرها بولكن هذا البيت يستدعي لدى المتلقي هذه الآية التي تتحدث عن منازل القمر وتجده .

ويتابع الشاعر عرض أدلته للمتقين، والتي يعتمد عليها في دعم إياته وكبريائه الذي لم ينل منهما السجن فيقول:

وَالْغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يَرَاخُ وَيَرَعْدُ (٣)

وهنا يتحدث الشاعر عن المطر الذي لا يكون إلا إذا ادلهمت الغيوم وتراكمت وأصبحت سوداء، عندما يحدث البرق والرعد ويبدأ هذا الريق بالنزول شيئا فشيئا، فلو لا هذا التراكم وهذا السواد وهذه الأصوات المخيفة لما نزل هذا المطر، فالشاعر جعل من نفسه ذلك الغيث المحصور .

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص٤٢

(٢) سورة يس ، الآية ، ٣٩

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص٤٢

وقد تتأص الشاعر علي بن الجهم هنا مع قول الشاعر البحتري:

بَوَعِيدٍ وَمَوْعِدٍ كَاتِسِكَابِ لَ غَيْثٍ بَيْنَ الْإِرْعَادِ وَالْإِبْرَاقِ (١)

فهذا الشاعر أيضا يتحدث عن الطريقة التي ينتج فيها المطر وهو صوت البرق والرعد، فنلاحظ أن الشعراء عندما تحدثوا عن المطر تحدثوا عن الطريقة التي يحدث بها.

ويطيل الشاعر في هذا العرض ليصل إلى بيته الذي يتحدث فيه عن النار الساكنة في الحجارة، التي لا تظهر إلا بعد الشدة، وهي طرق الحجارة بعضها ببعض فيقول:

وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَرْزُودُ (٢)

وهو يستدعي قول الشاعر صريع الغواني عندما قال :

أَنَا النَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مُسْتَكْنَةٌ فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحُ النَّارَ فَاقْدَحْ (٣)

نلاحظ أن الشاعر علي بن الجهم تحدث عن النار بشكل العموم والشاعر صريع الغواني تحدث عنها بشكل الخصوص، فقد شبه نفسه بهذه النار واستخدم الضمير أنا ، فنلاحظ اتفاق الشاعرين على أن هذه الأحجار تخفي في داخلها شراره إن توقدت قد تحرق الأخضر واليابس.

ويستدعي الشاعر إحدى الشخصيات التاريخية في قصيدته حيث يقول :

وَالزَّاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا النِّقَافُ وَجَنُودُهُ تَتَوَقَّدُ (٤)

(١) ديوان البحتري ، ج ٣ ، ص ١٤٥٩

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ٤٣

(٣) شرح ديوان صريع الغواني ، ص ٣٠٩

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٣

حيث يستدعي الشاعر شخصية تاريخية تنسب الرماح لها هو زاعب من الخرج ، كان يعمل في صناعة الأسنة ويجيد صناعتها (١) ، وهذه الرماح التي يصنعها هذا الرجل تعد من أجود أنواع الرماح ، حتى أنها نسبت إليه ، ومثل هذا قول الشاعر الفرزدق :

أرى الزَّعَلَ ابنَ عُرْوَةٍ حينَ يجري إذا جرى إلى أمدِ الرِّهَانِ
وتُعْطِي العُرفَ عَفْوَاً سائِلِيهِ وتُروِي الزَّاعِبِيَّةَ في الطِّعَانِ (٢)

وكل ما تحدث عنه الشاعر " هي صور تعبر عن نفس صلبة قوية ، وأنها على الرغم من محنة السجن سالمة لم يصيبها وهن لا خَوَرٌ " (٣).

وبعد هذا الحديث الطويل والرد المحكم على السخرية والتهكم الذي سمعه عندما قيل له حبست " ينطلق الشاعر من ذلك إلى ضرب من الحكمة أوحى بها الموقف ، فقد صادر المتوكل ماله ، وظن أعداؤه أن النكبة ستطحنه طحنا ، وتسلمه إلى اليأس والقنوط ، فإذا به يبدو لهم رجلا زاهدا بالمال ، متوشحا بالأمل ، متدريا بالصبر ، مؤمنا بأن الشر الذي حل به قد يحمل في طياته الخير ، وأن الأمنية التي حققها أعداؤه قد يكون لهم فيها الشر " (٤).

حيث يقول :

غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِنَاتٌ عَوْدَ وَالْمَالُ عَارِيَةٌ يَفَادُ وَيَنْفَدُ (٥)
وهو بذلك يستدعي لنا المثل القائل : " يوم لنا ويوم علينا " (٦)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٣

(٢) شرح ديوان الفرزدق ، جمعه وطبعه وعلق عليه عبدالله إسماعيل الصاوي ، ط ١ ، ج ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٨٦٤

(٣) شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ط ١١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٦٩

(٤) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعره ، ص ١٨٩

(٥) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٣

(٦) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٥٤١

وتناص الشاعر بحديثه عن المال تناصا داخليا مباشرا حيث قال :

وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ عَلَى أَصْحَابِهِ عَرَضٌ يَذُمُّ الْمَرْءَ فِيهِ وَيُحْمَدُ (١)

فالشاعر لا يغير رأيه في المال ، ويعتبر نفسه زاهدا به ، لأنه لا يدوم وقد يذهب في أي لحظة .

ورغم هذا الكبرياء وهذه العزة والأنفة التي يتمتع بها الشاعر ، ورغم ما ساقه لنا من

براهين وحجج حول السجن إلا أنه يعود ويتحدث عن السجن كمحنة ، وربما يوما ستجلي هذه

المحنة حيث قال :

وَكُلُّ حَالٍ مُعَقِّبٌ وَكَرْبٌ مَا أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ خَطْبٌ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَكْدُ (٢)

وهنا في هذا البيت يحيل الشاعر المتلقي إلى قوله تعالى " لِكُتُبِ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (٣) حيث يتحدث فيها الله سبحانه

وتعالى عن علمه للغيب وما ينتظر الإنسان من أمور لا يعلمها إلا الله .

وفي نفس البيت الثاني تناص الشاعر مع غيره من الشعراء عندما تحدث عن جور الزمان

ونقله وصخبه ونكده حيث يقول :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ خَطْبٌ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَكْدُ (٤)

ومثل هذا قول الشاعر أبي تمام عندما تحدث عن نكد الزمان حيث قال :

صَدَمَتْ مَوَاهِبُهُ النَّوَائِبَ صَدَمَةً شَغَبَتْ عَلَى شَغَبِ الزَّمَانِ الْأَكْدُ (٥)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٤

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٦

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٤

(٥) ديوان أبي تمام ، ج ٢ ، ص ٥١

وقول صريع الغواني :

مُتَعَذِّرُ الْهِمَمَاتِ مُنْقَطِعِ الْغِنَى إِلَيَا مُقَارَعَةَ الزَّمَانِ الْأُنْكَدِ (١)

فنلاحظ أن شاعرنا جاء بنفس اللفظ والوصف للزمان وهو الزمان الأنكد

ويرسل لنا الشاعر بعض الحكم المستمدة من ذاكرته الشعرية، فيتحدث عن القضاء والقدر،

والنصيب المحتم على الشخص، والعمر المقسوم لهذا الشخص غير المربوط بشيء، لا بمرض

ولا بصحة، فالأجل آت لا محالة ولكن هذه الساعة غير معروفة فيقول الشاعر :

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَتَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْغَوْدُ (٢)

وقد استدعى الشاعر هنا كثيرا من النصوص كقوله تعالى: " لِلَّهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ

الْقَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ " وقوله

تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٤)

وكذلك قول علي بن أبي طالب :

تَوَمَّلْ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَلَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ

فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ عَاشَ ذَهْرًا إِلَى ذَهْرِ

وَكََمْ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ آمِنًا وَقَدْ نَسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي (٥)

(١) شرح ديوان صريع الغواني ، ص ٢٣٤

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٤

(٣) سورة لقمان ، الآية ٣٤

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٥٧

(٥) ديوان علي بن أبي طالب ، جمع عبد العزيز الكرم ، المكتبة الثقافية، بيروت ، ص ٦٥

فقد استدعى الشاعر علي بن الجهم قول علي بن أبي طالب استدعاء مباشرا ،مع التحديد لذلك الصحيح فقد يكون الطبيب المشرف على الحالة أو من كان يزوره .

نلاحظ هذه النظرة الدينية المتعمقة والواعية للموت، فقد اجمع الكل على النهاية الحتمية للإنسان وهي الموت غير المعروف موعده.

ويتابع الشاعر علي بن الجهم المقدمة التي حاول فيها التقليل من مصيبة هذا السجن، وإبراز روح الإباء لديه، ويتحدث عن عاقبة الصبر والصابرين حيث يقول :

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَيَذُ الْخَلِيفَةَ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ (١)

وهو بذلك يتناص تناصا مباشرا داخليا مع قوله :

وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَعَصَى بِهَا أَنْ تَنْجَلِي وَلَعَلَّهَا (٢)

ويعود إلى كرامة الحبس والمحبوسين ويقول :بأن الحبس ليس عيبا ولا عارا لمن حبس ظلما وجورا ، ولكنه يعد منقصة لمن يدخله وقد عمل عملا مخلا بالأخلاق وخارجا عن القانون " ، و يفلسف الشاعر الموقف هنا فلسفة تخالف المألوف، ذلك أن الحبس هو رمز الكبت والضيق - عادة- لكنه يستحيل هنا إلى منزل محبب، "يجدد للكرام كرامة "، ولعل هذه الرؤية جاءت من محاولة الشاعر إرضاء الخليفة -الذي سجنه - ومخافة الاصطدام به " (٣).

وهو بذلك يحيل المتلقي إلى الآية الكريمة التي تتحدث عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا تُصْرِفْ عَنِّي

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٥

(٢) ديوان علي بن الجهم ، ص ٩٤

(٣) صالح الشتيوي ، "تجليات المكان في شعر علي بن الجهم" ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٤ ، العدد الأول + الثاني ، ٢٠٠٨ ص ٢١٤

كَيِّدَ مَنْ أَصْبَحَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ الْجَامِلِينَ } (١) ، فيوسف عليه السلام قد فضل السجن على مطاوعته

لامرأة العزيز، فالسجن في بعض الأحيان يكون الأفضل إذا خيرت مع غيره، كما حدث مع يوسف عليه السلام، عندما خير بين السجن أو اقتراف الفاحشة (٢) .

وبعد هذا كله يتوجه الشاعر إلى أحمد بن أبي دؤاد لكي يتوسط له عند المتوكل، ليخرجه من حبسه، فمدح أحمد وأعلى من شأنه وقال عنه إنه رجل المهام الصعبة فقد قال :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ (٣)

وقد تناص الشاعر هنا تناصا داخليا مباشرا ولكنه عكسي، فقد ذكر الشاعر غير مرة هذه الشخصية، ولكن نظرتة تغيرت لها، فمن مَادِح كما فعل في البيت السابق إلى ذَام له، خاصة عندما يتحدث عن مسألة خلق القرآن الكريم، حيث قال :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ دَعْوَةٌ بَعَثَتْ إِلَيْكَ جَنَادِلًا وَحَدِيدًا
مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي سَمَّيْتَهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلَ وَالتَّوْحِيدَا
أَفْسَدْتَ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلَيْتَهُ وَرَمَيْتَهُ بِأَبِي الْوَلِيدِ وَلَيْدَا (٤)
وقوله أيضا :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خَيْالِكَ لَامِعًا فَوْقَ الْفِرَاشِ مُنْهَدًا بِوَسَادِ
فَرِحْتَ بِمَصْرَعِكَ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَوْقِنًا بِمَعَادِ
كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ قَدْ عَطَّلْتَهُ كَيْ لَا يُحَدَّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ

(١) سورة يوسف ، الآية ٣٣

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج ٢ ، ص ٣٦

(٣) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٦

(٤) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٥-١٢٦

فَنَقَى الْهَوَانَ مُعْجَلًا وَمُؤَجَّلًا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ (١)

"وهنا يمثل الشاعر صورة من صور الهجاء المذهبي في العصر العباسي، إذ المهجو يمثل مذهباً والشاعر يمثل مذهباً آخر، وقد تجاوز الهجاء نقد أفكار خصمه ودحض حججه وتصوير مفاسده إلى إظهار الشماتة فيه، وإظهار فرح الناس بعلته، من شدة ما لاقوه على يده من محنة وبلاء" (٢)

نلاحظ تحول نظرة الشاعر علي بن الجهم إلى هذه الشخصية من مآدح وقت السجن إلى ذم له وفرح بما أصابه وقت مدح المتوكل، وتعرضه لمسألة خلق القرآن. وتتأصل تناصاً عكسياً مع قول الشاعر البحتري عندما تحدث عن رد فتنة خلق القرآن زمن المتوكل، وحديثه عن شخصية أحمد بن أبي دؤاد الذي يعتبر رأس الفتنة (٣)، فالبحتري ذام للشخصية وشاعرنا مآدح لها فقد قال البحتري :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ سَكَنَّا إِلَى أَيَّامِكَ الْغُرَّ الْحِسانِ

رَدَدْتَ الدِّينَ فَذَا بَعْدَ مَا قَدْ أَرَاهُ فِرْقَتَيْنِ تَخَاصَّمانِ

وَفِي سَنَةٍ رَمَتْ مُتَجَبِّرِيهِمْ عَلَى قَدَرٍ بِدَاهِيَةٍ عَوَانِ

فَمَا أَبَقَتْ مِنْ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ سِوَى جَسَدٍ يُخَاطَبُ بِالْمَعَانِي

إِذَا أَصْحَابُهُ اصْطَبَحُوا بَلِيلِ أَطَالُوا الْخَوْضَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ (٤)

وبعد هذا النداء والاستغاثة الموجهين من شاعرنا إلى أحمد بن أبي دؤاد ينتقل الشاعر إلى مدح المتوكل والعباسيين، وهذا دأبه فلا ينفك يمدح الخليفة ومجد العباسيين وأحقيتهم بالخلافة (٥).

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٨-١٢٩

(٢) عبدالسلام الراغب ، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، ص ١١٥

(٣) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٦-٣٦٧

(٤) ديوان البحتري ، ج ٤ ، ص ٢٢٩٠

(٥) من أجل الخلاص من تكرار الموضوع ينظر الرسالة نفسها ، ص ١٤٥-١٥٠

ويصل الشاعر إلى بسط مشكلته ومعاينة الخليفة على الحكم الذي أصدره بحقه دون السماع له ولحجته، فحكم عليه حكماً ظالماً، لأنه استمع إلى أحد الطرفين ولم يستمع للآخر ليقول عن ذلك :

أَمِنَ السُّوَيَّةَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ خَصَمَ تَقَرُّبُهُ وَآخِرُ تَبَعِدُ
إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَنْ يَشْهَدُ
لَوْ يَجْمَعُ الْخَصَمَيْنِ عِنْدَكَ مَشْهَدٌ يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ
فَلَنْ يَبْقِيَ عَلَى الزَّمَانِ وَكَانَ لِي يَوْمًا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ مَقْعَدُ
وَإِحْتَجَّ خَصَمِي وَإِحْتَجَجْتُ بِحُجَّتِي لَفَلَجْتُ فِي حُجْجِي وَخَابَ الْأَبْعَدُ (١)

وقد تناص الشاعر هنا تناصاً مباشراً مع الحديث النبوي الشريف القائل : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إِذَا تَقَاضَى إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخِرِ فَسَوْفَ تَدْرِي كَيْفَ تَقْضِي قَالَ عَلِيٌّ فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا بَعْدُ " (٢) حيث أننا نرى أن الرسول حث على الاستماع لجميع الخصوم للنطق بالحكم وهذا عمل لم يقم به المتوكل.

وتناص الشاعر أيضاً مع المقولة المشهورة " إذا أتاك أحد الخصمين وقد فُتِنَتْ عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعنه قد فُتِنَتْ عيناه ". (٣)

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٦-٤٧

(٢) الجامع الكبير ، سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط ٢ ، المجلد ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ج ٣ ، ص ١٢

(٣) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ١٠٦

وانظر : ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، دار الكتاب العربي ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣

فقد اتكأ الشاعر على هذه المقولة ليذكر الخليفة بنوع الحكم الذي أصدره عليه.

وقد تناص الشاعر مع المقولة السابقة تناصا واضحا مع تمطيطها في شرح مطول، وكل من يقرأ هذه الأبيات تحيله إلى هذه المقولة المشهورة .

ويعود الشاعر من جديد إلى الأمل والتصبر في نهاية القصيدة ليعود إلى الإباء والكبرياء اللذين لا يفارقهما ، ويعتمد الشاعر في أبياته على كثير من المعاني القرآنية، كما في البيت التالي حيث قال :

وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ وَإِلَيْهِ مَصْدَرُنَا غَدًا وَالْمَوْرِدُ
وَكَلْنِ مَضْنِيَّتُ لَقَلَّمَا يَبْقَى الَّذِي قَدْ كَادَتْنِي وَكَيِّمَعَنَا الْمَوْعِدُ (١)

يشير الشاعر في الأبيات إلى أن أمر الله نافذ في عباده ولا يعجزونه أبدا ، وقد جعل لكل شيء مقدارا ، فهو يتحدث عن الرد على خصومه ؛ فإن طالبت حياته وخرج من السجن فسوف يرد عليهم بحججه الدامغة التي يفلجهم بها ، وإن قصرت حياته ولم يجتمع فيهم بالدنيا فهو متيقن كل اليقين أنه سوف يجتمع بهم في الآخرة، عند عادل لا يظلم عنده أحد، ولا يحتاج إلى حجة أو برهان، فهو عالم بكل شيء . فالشاعر يتحدث عن عدل دنيوي يحتاج إلى حاكم عادل ومحكمة عادلة مسئلتها عدل الله يوم القيامة حيث لا يظلم عنده أحد ، تناص الشاعر مع الآية

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمِمَّا يَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٢)

ليدل على رضاه بالقضاء والقدر، الذي لا ينجو منه أحد، لأنه مقدر من عند عليم حكيم

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٧

(٢) سورة الطلاق ، الآية ، ٣

وهذا البيت يختتم به الشاعر قصيدته متسائلا عن سبب مناصبة الناس العدااء له دون

ذنب أو جرم بدر منه حيث قال :

فَبِأَيِّ ذَنْبٍ أَصْبَحْتَ أَعْرَاضُنَا نَهَبًا يُشِيدُ بِهَا اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ (١)

" وتآلق علي بن الجهم في فخره ليبليغ حدا لم يسبقه إليه أحد، واعتبرها النقاد من حر شعره لم يقل في معناها مثلها " (٢) ، فالشاعر بعد حديث طويل في القصيدة عن نفسه، وعن حساده، ولومه للخليفة، لأنه استمع للوشاة ولم يسمع كلام الطرفين، يتحدث الشاعر عن السبب الذي أدخل فيه السجن ، وأصبح الجميع يلمزونه ويتحدثون عنه بالسوء، وكلام الشاعر هنا كلام شديد اللهجة ، لأنه استخدم تناسبا قويا مع سورة التكوير، عندما قال الله تعالى: " وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ " (٣) التي تحدث الله فيها عن مشهد من مشاهد يوم القيامة ومنها " سؤال الطفلة المدفونة حية بأي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إن؟ " (٤) .

امتص الشاعر المعنى المراد من الآية الكريمة وهو التهديد والوعيد للقاتل، ليقوم هو بالتهديد والوعيد لمن يتعرض له ولأعراضه، بصفات سيئة كلثيم ووغد . واستمد الشاعر من معنى الآية الكريمة ومن ألفاظها معنى يدعم به بيته .

وقد تميزت هذه القصيدة بمجموعة من الخصائص جعلتها متميزة نورد بعضها منها:

(١) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٧

(٢) حسن محمد نور الدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ص ١١٢

(٣) سورة التكوير ، الآية ٨+٩

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٧٢٠

" هناك أمر توحى به القصيدة هو أن العاطفة الصادقة تبحث لنفسها عن الصورة الفريدة ، واللفظة المعبرة ، والموسيقى المصورة ، وإلا فمن أين للشاعر هذا الحشد الكبير من الصور التي صور بها نفسه وهو يدخل السجن ، ثم من أين له هذا الفيض من الألفاظ الفخمة الجزلة التي تملأ الفم وتتحدث عنه انحدارا لتعبر عن القوة والصلابة والجلد، فالمهند، والليث ،والغيل ،والفرقد ،والإرعاد، والاصطلاء، والأزند، والزعابية ،والكعوب، والجنوة ،والتوقد وعشرات أمثالها اجتمعت في القصيدة لتملا جوها بكل إحياء قوي عنيف " (١).

" ثم هذا البحر الكامل الذي هو أقرب بحور الشعر إلى الرجز في تفعيلاته واهتزازاته، يتخذ سلما موسيقيا للقصيدة ،ثم تلك الدال المدوية المشبعة بالضمة تجعل رويها لها ،هذه الطاقات جميعها من تخيلية، ولغوية ،وموسيقية ،وتسخرها العاطفة الصادقة، لتبرز من خلالها واضحة أسرة مؤثرة " (٢).

" وأمر ثالث يبدو في القصيدة ،هو تلك الوحدة العضوية التي تميزت بها حتى لكانها بناء ضخم متكامل صمم بوعي ، ونفذ بدقة مما يجعل القارئ يحيا معها في جو واحد لا تشوبه الاستطرادات ، ولا يعكره الاضطراب والشذوذ " (٣).

" فهي تقوم على الحوار بين الشاعر والمرأة اللائمة ، ثم تتدفق المشاعر والصور عبر هذا الحوار ، لتشكل وحدة قصيدته بعناصرها المتشابكة ، وصورها المتألفة ، وإحياءاتها المعبرة ، متخذة من قول لائمته بداية لتتدفق شعوره الحبيس ، وصوره المقنعة بموقفه والموحية بشخصيته

(١) عبد الرحمن باشا ،علي بن الجهم ، حياته و شعره، ص ١٩١

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٢

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٢

المتعالية على آلام السجن ووحشته " (١)

" وإذا كان المسجونون عامة يثيرون في نفوس الناس الإشفاق، وإذا كانوا مظلومين أثاروا مع الإشفاق الأسى عليهم والحدق على ظالمهم ، فهذه القصيدة - وجل شعر ابن الجهم في السجن - لا تثير الإشفاق في نفس القارئ على صاحبها أو الأسى له ، وإنما تبعث على الإعجاب به والإكبار له " (٢).

" ذلك أن الشاعر لم يعط قارئه في جل ما قاله فرصة للأسى عليه ، وإنما أعطاه أكثر من فرصة ليكبره ويعجب به ، ويتخذة مثلاً له إذا ألمت به نائبة أو حل بساحته خطب " (٣).

" وشعره الذي قاله في سجنه وهو شعر يمتاز بعمق التجربة وخصوصيتها، وصدق العاطفة وغناها ، والدقة في التعبير عن خلجات النفس ، ومضات الشعور ، على نحو موح يثير في نفوس المتذوقين انفعالا مماثلاً للانفعال الذي اضطرم في نفس صاحب التجربة " (٤).

" ومن يقرأ شعر ابن الجهم في السجن مسلسلاً وفق ترتيب قوله الزمني، يجد أنه يرسم خطاً بيانياً واضحاً لنفسية الشاعر وتطورها منذ أول يوم دخل فيه السجن إلى آخر يوم خرج فيه منه، فلقد دخل الشاعر سجنه متعالياً على النكبة ، مستخفاً بالنازلة، حريصاً أشد الحرص على ألا يشمت أعداءه به ، فلما طال به الأمد طامن من كبريائه شيئاً فشيئاً حتى وجدناه يعتذر إلى المتوكل ويستجير به بعد أن عاتبه في قصائده الأولى عتاباً لا يخلو من مخاشنة " (٥) .

(١) عبدالسلام الراغب ، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم، ص ٢٩٧

(٢) عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته و شعره، ص ١٩١

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٢

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣٩

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٤٠

الخاتمة

انتهت الدراسة إلى تقرير ما يأتي :

التناص مصطلح نقدي جديد وانقسم النقاد العرب تجاهه عدة أقسام: فمنهم من عده مصطلحا نقديا جديدا ،ومنهم من عده مصطلحا مرادفا للسرقا، والتضمين، والاقتباس، وثالث وقف بين الفريقين وقال: إنه مصطلح واسع يندرج تحته المصطلحات النقدية العربية القديمة، كالسرقة، والتضمين ،والاقتباس، ولكنه أوسع منها .

والتناص مصطلح عرف عند باختين بالحوارية، ثم التقطته كرسنفا لتطوره ويظهر بحلته الجديدة ،مصطلحا نقديا حديثا ،والتقت النقاد له ليبدؤوا بتشريحه وتقسيمه وتطويره كل حسب رؤيته الخاصة ،ورؤية منهجه الأدبي.

وقد أخذ الدارسون العرب تطبيق هذا المصطلح النقدي على تراثهم الأدبي، فبدؤوا دون كلل أو ملل بمحاولة تتبع التناصات في نصوص العربية.

وكما فعل غيري حاولت أنا في هذه الدراسة المتواضعة أن أتتبع هذه التناصات في ديوان الشاعر علي بن الجهم .

وقد وجدت أن الشاعر علي بن الجهم كان جل ديوانه يحفل بالتناصات الدينية، التي مصدرها الكتاب والسنة، وقد نهل منهما كثيرا ،وذلك بسبب الفترة التي عاشها الشاعر، وهي الفترة التي ظهرت فيها فتنة خلق القرآن الكريم ،وكان شاعرنا ممن تصدوا لهذه الفتنة العمياء التي كانت أن تعصف بالمجتمع الإسلامي وتقسمه إلى فريقين، لولا أن سخر الله سبحانه وتعالى رجالا وقفوا في وجه هذه الدعوة، وعلى رأسهم الإمام الجليل أحمد بن حنبل ،وكان شاعرنا كما قلنا من هؤلاء الرجال الذين تصدوا للفتنة من خلال مدحه الدائم والمتواصل للمتوكل على إطفائه هذه الفتنة، والقضاء عليها، ومن خلال هجائه وزمه المريرين لرؤوس هذه الدعوة الضالة

، كما مثال أحمد بن أبي دؤاد ، وقد استمد الشاعر في حديثه عن هذه الفتنة أفكاره وألفاظه ومبادئه من الدين الإسلامي ، من الكتاب والسنة .

ودرست التفاصيل التاريخية في ديوان الشاعر ، وقد حفل الديوان بالكثير من هذا النوع كان جله من التاريخ الإسلامي ، من حيث الأحداث أو حتى الشخصيات ، فقد كان تركيز الشاعر على التراث الإسلامي واضحا وجليا في قصائده وأشعاره .

والدارس لديوان الشاعر علي بن الجهم يلحظ التفاصيل الأدبي واضحا لديه ، وهذا يدل على سعة اطلاعه على نتاج الآخرين ، والاستفادة منه ، وهذا دأب كل شعراء العربية ، فأول ما كان يطلب منهم إذا أرادوا تطوير أنفسهم هو الاطلاع على شعر الآخرين وحفظه ، وهذا ما لاحظناه عند شاعرنا فقد برز تأثره بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه .

وهذه التفاصيل جميعا تدل على أن الشاعر لا يستطيع الانسلاخ بأي شكل من الأشكال عن تراثه ومجتمعه مهما حاول ، فالتأثير موجود بوعي أو بدون وعي .

وقد كتب على النصوص أن تكون جدارا مبنيا من لبنات ، وهذه اللبنات مستمدة من التاريخ الإنساني بشتى مصادره الدينية والأدبية والتاريخية ، ولا أحد يستطيع أن ينتج نصه دون تناسله مع غيره .

وأخيرا أرجو أن تكون هذه الدراسة لهذا الشاعر الكبير ، قد أعطته حقه ، ويستفيد منها الآخرون ، وقد سمعنا قول القائل : إن لكل مجتهد نصيبا ، فندعو الله جل شأنه أن نكون من هؤلاء المجتهدين .

ثبت المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم .
- ❖ إبراهيم مصطفى الدهون ،التناص في شعر المعري، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد ، ٢٠١١ .
- ❖ إبراهيم بن هرمة، ديوان ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، مكتبة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٦٩ .
- ❖ إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية .
- ❖ ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، ٥٥٥-٦٣٠هـ، ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- ❖ ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ❖ أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقيا ، ط١ ، مكتبة الكتاني - اربد ، ١٩٩٥ .
- ❖ أحمد الزعبي ، النص الغائب نظريا وتطبيقيا ، اربد، مكتبة الكتاني ، ١٩٩٣ .
- ❖ أحمد ناهم ، التناص في شعر الرواد ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية- بغداد ، ٢٠٠٤ .
- ❖ الأحوص الأنصاري ، ديوان ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، قدم له شوقي ضيف ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- ❖ الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن، ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ، كتاب الأغاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

- ❖ امرؤ القيس، ديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ❖ أنور أبو سويلم ، الطبيعة في الشعر العباسي الأول ، ط١ ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٣ .
- ❖ البحتري، ديوان ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة
- ❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ١٩٤-٢٥٦ هـ.، صحيح البخاري ، شرح وتحقيق قاسم الرفاعي ، ط٣ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- ❖ بشار بن برد، ديوان ، تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر ن عاشور ، ضبطه وصححه محمد شوقي أمين ، ج١، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ❖ أبو بكر جابر الجزائري أيسر التفاسير ، ط ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٩٩٤ .
- ❖ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ٢٠٩-٢٧٩ هـ ، الجامع الكبير ، سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط٢، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- ❖ أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي، ديوان ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة .
- ❖ تودوروف ، المبدأ الحوارى (باختين) ، ترجمة فخري صالح ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢ .
- ❖ تيفين ساميول ، التناص ذاكرة الأدب، ترجمة نجيب غزاوي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٧ .

- ❖ ابن الجوزي ، أبو فرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢
- ❖ جوليا كرسيفيا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، دار ثوبقال ، المغرب .
- ❖ حسن محمد نورالدين ، علي بن الجهم : حياته و أغراضه الشعرية ، ، ط ١ ، ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٠.
- ❖ حسين العمري، إشكالية التناص مسرحية سعد الله ونوس أنموذجاً ، ط ١ ، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٧ .
- ❖ حصة البادي ،التناص في الشعر العربي الحديث ،ط ١، عمان ،دار كنوز المعرفة ، ٢٠٠٩ .
- ❖ خالد الجبر ، تحولات التناص في شعر محمود درويش ، جامعة البتراء ، ٢٠٠٤ .
- ❖ الخطيب البغدادي ،أبو بكر أحمد بن علي، ٣٩٣-٤٦٣هـ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ❖ ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت .
- ❖ الخنساء، ديوان ، تحقيق إبراهيم عوضين ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٥
- ❖ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢-٢٧٥ هـ.، سنن أبي داود ، تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط ١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- ❖ دعل الخزاعي، ديوان ، تحقيق عبد الصاحب عمران ، ط ٢ ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ❖ ابن الدمينه، ديوان ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد حبيب ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، دار العروبة ، القاهرة .

- ❖ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، حوادث وفيات ٢٤١هـ - ٢٥٠هـ .
- ❖ رؤية بن العجاج، ديوان ، تحقيق راضي محمد عيد نواصرة ، ط١ ، دار وائل ، عمان ، ٢٠١٠ .
- ❖ رولان بارت، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان، ط٢ ، دار توبقال ، المغرب، ٢٠٠١ .
- ❖ ابن الرومي، ديوان ، تحقيق حسين نصار ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة . ١٩٩٣ .
- ❖ الزركلي ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط١٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ❖ أبو زيد الشلبي ، الخلفاء الراشدون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ❖ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ، بيروت - دار الكتاب ، ط١ ، ١٩٨٥ .
- ❖ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط٢٣ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ❖ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، ٨٤٩ - ٩١١ هـ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ .
- ❖ شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ط١١ ، دار المعارف ، القاهرة .
- ❖ الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، و لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م
- ❖ صبري حافظ ، أفق الخطاب النقدي ، ط١ ، دار شرقيات ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

- ❖ صريع الغواني، شرح ديوان ، تحقيق سامي الدهان ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة
- ❖ صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧
- ❖ أبو طالب، ديوان، عبد القادر العاني ، ط١ ، كوفان للنشر ، فنلنده ، ١٩٩١ .
- ❖ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- ❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٩ .
- ❖ العباس بن الأحنف ، ديوان ، شرح عائكة الخزرجي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤
- ❖ عبدالباسط مرashedة ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ط١ ، دار ورد - عمان ، ٢٠٠٦ .
- ❖ عبد الرحمن باشا ، علي بن الجهم ، حياته وشعره ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٠٠ ،
- ❖ عبد الرحمن محمد وهيبه ، الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية .
- ❖ عبد العزيز البدري ، الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة
- ❖ عبدالله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ط١ ، النادي الأدبي الثقافي ، ١٩٨٥ .
- ❖ عبدالوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ، تحقيق خليل الميس ، دار القلم بيروت
- ❖ ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ .

❖ عروة بن حزام، ديوان ، تحقيق أنطوان محسن القوال ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ،
١٩٩٥ .

❖ عز الدين مناصرة ، علم التناسل المقارن نحو منهج عنكبوتي تفاعلي ، ط١ ، مجدلاوي
- عمان ، ٢٠٠٦ .

❖ علي بن الجهم، ديوان ، تحقيق خليل مردم بيك ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ،
١٩٨٠ .

❖ علي بن أبي طالب ، ديوان ، جمع عبد العزيز الكرم ، المكتبة الثقافية، بيروت
❖ علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر العربي المعاصر ، دار
الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

❖ ابن العماد الإمام شهاب الدين الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق
عبدالقادر الأرناؤوظ ومحمد الأرناؤوظ ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٩٨٨ .
❖ عمر أوفكان ، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت ، أفريقيا الشرق - ١٩٩١ م .
❖ عمر بن أبي ربيعة ، ديوان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، المكتبة
التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٠ .

❖ عنتره، شرح ديوان ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥-١٩٩٢ .
❖ الفرزدق، شرح ديوان ، جمعه وطبعه وعلق عليه عبدالله إسماعيل الصاوي ، ط١
، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

❖ قصي الحسين ،معجم مجمع الأمثال ، ط١ ، دار الشمال ، طرابلس ، ١٩٩٠ .
❖ كاظم جهاد، أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها :ما
هو التناسل ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٣ .

- ❖ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ٧٠١ - ٧٧٤ هـ ، تفسير ابن كثير ، اعتنى به محمد انس الخن ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- ❖ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ٧٠١ - ٧٧٤ هـ ، حجة الوداع ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، ط١ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- ❖ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار إحياء التراث ، بيروت .
- ❖ ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ٢٠٩-٢٧٣ هـ ، محمد ناصر الدين الألباني ، تعليق وفهرسة زهير الشاويش ، ط٣ ، المجلد الثاني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ❖ ماجد جعافرة ، التناص والتلقي دراسات في الشعر العباسي ، ط١ ، دار الكندي - اربد ، ٢٠٠٣ .
- ❖ مجنون ليلي ، ديوان ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة الفجالة ، القاهرة
- ❖ محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ❖ محمد عبدالمطلب ، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني ، ط١ ، الشركة المصرية لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
- ❖ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، اعتنى بها عمر عبد السلام السلامي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م
- ❖ محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ .

- ❖ محمد مفتاح ، دينامية النص ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ❖ محمد نبيل الطريفي ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ط١، دار الكتب العلمية،بيروت ، ٢٠٠٤ .
- ❖ محمود خيرت ، تنوير الفهم في شرح وتشطير قصيدة ابن الجهم ، مطبعة الترقى ، مصر ، ١٨٩٩م .
- ❖ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ❖ مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ٢٠٤-٢٦١ هـ، صحيح مسلم ، حسن عباس قطب ، ط١ ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- ❖ مصطفى أبو النصر الشلبي ، صحيح أشراط الساعة ، ط٢ ، مكتبة الوادي، جدة، ١٩٩٤
- ❖ منصور عبدالحكيم ، نهاية العالم و أشراط الساعة ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- ❖ منير سلطان ، التضمين و التناص ، منشأة المعارف - الإسكندرية ، ٢٠٠٤ .
- ❖ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ❖ نابغة بني شيان ، ديوان ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
- ❖ النسائي، أحمد بن علي بن شعيب النسائي ، ٢١٥ - ٣٠٣ هـ، سنن النسائي ، شرح جلال الدين السيوطي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- ❖ أبو نواس ، ديوان ، تحقيق اسكندر آصاف ، دار العرب ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

❖ النوي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، روضة الطالبين، تحقيق عادل عبدالموجود و علي محمد عوض، طبعة خاصة، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م، ٠

❖ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام،...٢١٣هـ، السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت وآخرون، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦، ٠

❖ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله، ٢٩٣-٣٨٢هـ، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجيل بيروت، ٠

❖ اليوسي، نور الدين أبو علي الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق، محمد حجي و محمد الأخضر، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١، ٠

❖ الرسائل الجامعية:

❖ ابتسام أبو شرار، التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، رسالة ماجستير جامعة الخليل، إشراف نادر قاسم، ٢٠٠٧ م، ٠

❖ إبراهيم عقلة جوخان، التناص في شعر المتنبي، إشراف الدكتور عبدالقادر رباعي، رسالة دكتوراة، اليرموك، ٢٠٠٦، ٠

❖ أمل رحيان القناني، الوصف في شعر علي بن الجهم، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور حسن محمد باجودة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ، ٠

❖ ربي عبدالقادر الرباعي، التضمين في التراث النقدي والبلاغي، إشراف الدكتور قاسم المومني، رسالة ماجستير، اليرموك، ١٩٩٧، ٠

❖ عبدالسلام الراغب، الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، إشراف الدكتور حسين صديق، ٢٠٠٦، ٠

- ❖ محمود محمد عبيدات ، التناص في شعر أبي نواس ، إشراف الدكتور ماجد جعافرة ، رسالة دكتوراة ، اليرموك ، ٢٠٠٧ .
- ❖ ميساء عبيدات ، التناص في شعر مصطفى وهبي التل ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور عبدالباسط مرashedة ، آل البيت ، ٢٠٠٧ .
- ❖ نبيل علي حسنين ، التناص عند شعراء النقائض ، إشراف الدكتور عبد القادر رباعي ، رسالة دكتوراة ، اليرموك ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ .
- ❖ وائل عبدالله مفلح ، توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، إشراف الدكتور ماجد جعافرة ، ٢٠٠٨ .

❖ الدوريات :

- ❖ باقر جاسم محمد "التناص المفهوم والآفاق " مجلة الآداب ، عدد ٧-٩ ، سنة ٣٨ ، ١٩٩٠ .
- ❖ تركي المغيـض "التناص في معارضات البارودي "، أبحاث اليرموك، مجلد ٩، عدد ٢ ، ١٩٩١ .
- ❖ حميد لـحمداني ، " التناص وإنتاجية المعاني " ، مجلة علامات ، ج ٤٠ ، م ١٠ ، يونيو ٢٠٠١ .
- ❖ زهور لحزام ، " آلية التناص " ، مجلة الناقد ، العدد ٣٠ ، كانون الأول ١٩٩٠ م .
- ❖ صالح الشتيوي ، تجليات المكان في شعر علي بن الجهم ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٤ ، العدد الأول + الثاني ، ٢٠٠٨ .

❖ مجاهد بهجت ، الملامح الإسلامية ، في شعر علي بن الجهم ، مجلة آداب المستنصرية

، بغداد ، عدد ٩ ، ١٩٨٤ .

❖ محمد وهابي ، " مفهوم التناص عند جوليا كرسيفا " ، علامات ، جزء ٥٤ ، مجلد ١٤

، ديسمبر ٢٠٠٤ م .

❖ المختار حسني ، " التناص في الانجاز النقدي " ، علامات ، جزء ٤٩ ، مجلد ١٣٣

٢٠٠٣ .

❖ المختار حسني ، " من التناص إلى الأطراس " ، مجلة علامات، الجزء ٢٥ ، مجلد ٧ ،

سبتمبر ١٩٩٧ .

❖ المختار حسني ، " نظرية التناص " ، مجلة علامات ، ج ٣٤ ، مج ٩ ، ديسمبر ١٩٩٩

❖ مشتاق عباس معن ، " شعرية التناص قراءة في شعرية كرسيفيا السلبية " ، علامات ،

ج ٣٧ ، مج ١٠ ، سبتمبر ٢٠٠٠ م .

❖ معجب العدوان ، " رحلة التناصية " ، مجلة علامات، ج ٤٤ ، م ١١ ، يونيو ٢٠٠٢

❖ موسى ربابعة ، " ظاهرة التضمين البلاغي دراسة في تضمين الشعراء العرب القدماء

لمعلقة امرئ القيس " ، أبحاث اليرموك ، مجلد ١٤ ، العدد ٢ ، ١٩٩٦ م .

ABSTRACT

Intertextuality in Poetry of Ali bin al Jahm

The study term intertextuality and I tried to examin the idiom in both Western and Arab .criticism, and then I studied the poet of Ali bin Jahm depending on the term

The study tried to follow intertextuality in the poet of Ali bin al- Jahm it was found that the source of religious Quran Sunnah and Islamic history is the main source of the poet intertextuality, intertextuality literary appeared clearly in his Diwan which, if, shows the poet culture, and wide capacity on others products

:The study was divided into an Introduction and four chapters were as follows

Introduction: intertextuality theory, and the first chapter: intertextuality religiousin in the Poetry of Ali bin al-jahm has been divided into two sections firstly: intertextuality with the Holy Koran, and the secondly: intertextuality with Hadith, Second Chapter: intertextuality literary when Ali bin al-jahm has been divided the class into two sections first: intertextuality with pre-Islamic poetry the Umayyad and Abbasid periods, and the second: intertextuality with prose and proverbs

The Third Chapter: historical intertextuality events in poetry of Ali bin al- Jahm , has divided the class into two sections first: intertextuality with historical events and the second: intertextuality with historical figures, The last Chapter: An Empirical Study of the .two versions of the poet texts of the Ali bin al-Jahm

.The study ended with a conclusion containing a summary findings of the study